الفصل الأول

في صمت صدري
هنالك يدٌ
تغرِسُ نوى الحزن.
" فروغ فرخزاد "

طهران/صيف 2009

احتجاجات.. مظاهرات.. قمع و ترهيب..
البلد في أزمة حقيقية، صعب التنبؤ بالمستقبل و أية نهاية سوف تشهدها هذهِ الأزمة؟
ترى هل نحنُ على أبواب إنقلاب جديد؟!

أغلقت المجلة بفتور مكتفية بقراءة السطر الأول من المقال، ملتزمة الصمت و محدقة بنقطة مجهولة، هكذا هي منذُ تكدر اوضاع البلد، يائسة، متململة و حزينة ..
قال محاولاً إخراجها من حالة الصمت التي كانت تغوص فيها:
- لقد وبخني أبي على هذا المقال و منعني من الكتابة في الأمور السياسية حتى إشعار آخر.
طالعته متسائلة بفتور:
- لماذا؟ فما كتبته ليس سوى تساؤلات و وصف للوضع الراهن.
ألقى بصره على المجلة الملقاة على الطاولة، هز رأسه متأسفاً على ما وصلت إليه الصحافة بالآونة الأخيرة، ردد بعد برهة من الصمت:
- تعرفين يا سارة.. اكتشفت مؤخراً أن هذا العالم الذي اعمل فيه، لا يشبهني.. حيث الكذب فيه مباح و الحقيقة مشوهة.
قال ذلك و غاص في صمت طويل، مستذكراً السنوات الخمس الماضية التي كان يعمل فيها ك مصور صحفي، متعته الوحيدة هي التقاط صور تحاكي الواقع لكن بنظرة متفائلة.. لكن كل شيء تغير فجأة، بعدما اشترى والده حقوق المجلة التي كان يعمل فيها و قام بترقيته من مصور في عمود يختص بالمواضيع العامة، إلى مسؤول عن الصفحات الخاصة بالأخبار و المواضيع السياسية.
أخرجته لمسة يدها ليده من قوقعة افكاره:
- أمين...
ضم كفها بين كفيه بحرارة، مكتفياً بالنظر في عينيها بحنان لثوانٍ لكنها كانت تتهرب من النظر في عينيه مباشرةً، احس بارتعاشة كفها بين كفيه، قال:
- لا تبدين على ما يرام يا سارة.
- كل شيء ليس على ما يرام.
قالت ذلك و سحبت يدها من بين يديه بهدوء.
ظل أمين يطالعها للحظة غير مستوعب ذلك الأهتمام الكبير الذي تظهره لما يحدث في البلد، على حساب العلاقة التي تجمعهما منذُ الصغر، هذهِ الفتاة التي تسيطر على حواسه سيطرة تامة، ظلت تكبر و تترعرع أمام عينيه دون أن يتغير شيء فيها، بريئة و ناعمة و هادئة الملامح .
دار ببصره في زوايا المطعم الذي كان شبه خالٍ في تلك الساعة من النهار، و في داخله إحساس بالرغبة في النوم طويلاً حتى يستيقظ و يجد كل الهموم التي أصبحت ضيفاً ثقيلاً عليه بالاونة الأخيرة قد ولت.... برغم علمها بأن الأحاديث المتزايدة عن أوضاع البلد صارت تستفزه ألا أنها لم تكن افضل حالاً منه، تسائلت

بنبرة حذرة:
- أتظن أن الدولة سوف ستستجيب لمطالب المتظاهرين و تقوم بإعادة الإنتخابات مجدداً ؟
أجاب همساً بعد أن القى نظرةً خاطفةً عليها:
- لا اظن ذلك.
- لماذا؟
لم يجب، عادت تسأله بإلحاح:
- سألتك لماذا؟
- كفى.. ألا تملين من الحديث عن الموضوع ذاته في كل مرة نلتقي فيها.. ألا تلاحظين أن اغلب احاديثنا صارت تدور حول السياسة مؤخراً.. حتى إنني صرت افتقدكِ و افتقد نفسي.
هكذا أجابها بلهجة غاضبة و متوترة و ختم حديثه بزفرة واضحة، ظلت سارة تتطلع إليه بعينين دامعتين للحظة حيث اذهلتها ردة فعله التي كانت غير مبررة بالنسبة إليها، خيم الصمت لبضع دقائق، كل منهما يغوص في عالمه الذي لا ينفصل عن الآخر.

أمور كثيرة بوسعها أن تتسبب في ولادة المسافات بين البشر، و الصدق وحده الذي يقرب في ما بينهم، عندما لا تكون صادقاً مع الآخرين، تكون مجبراً على الإبتعاد و الإبتعاد لكي لا يُفتضح سرّك.

صوت النادل اخرج كليهما من قوقعة افكاره عندما وضع كوب الماء الذي طلبه أمين على الطاولة و ترك المكان على الفور، ارتشف القليل من الماء قائلاً بلهجه هادئة بعض الشيء:
- اعتذر.. لم اقصد.. لكنكِ كما تعلمين الأوضاع تزداد توتراً و هذا الشيء لا يحتمل.. اريد على الأقل عندما التقي بكِ اتناسى ما يحدث لبعض الوقت، و اصفي ذهني من التشويش الذي يفقدني تركيزي .. ساعديني على ذلك يا سارة.
مضت الثوان بصمت، هي كانت مطرقة رأسها محدقة بالأرض و هو يطالعها بحزن يبحث فيها عن سارة التي يعرفها، سارة الفتاة المرحة صاحبة الابتسامة التي لا تفارق شفتيها..
أين هي و ما الذي يحدث معها و لماذا وصلت لهذهِ الحالة؟
أسئلة تدور في رأس امين دون أن يجد لها جواب.
همس بإسمها، طالعته بإبتسامة فاترة متوترة، ردد هامساً:
- أحبكِ.
لم تكن بحاجة إلى أن تسمع عبارات الحب منه، فهي تعرف جيداً حجم الحب الذي يكنه لها و هذا كان عزائها الوحيد.
ابتسمت للحظة ثمّ عاد الحزن يلوح في ملامح وجهها حيث قالت متسائلة:
- لماذا لم تعترف لي بحبك باكراً يا امين؟ لمَ انتظرتني ادخل الجامعة كي تقوم بهذهِ الخطوة؟ برغم من الرابط القوي الذي كان يجمعنا.
قرب كرسيه منها و اجاب:
لأنني كنتُ اريد للحب أن ينمو في ظِل الصداقة التي كانت تجمعنا، لذلك كان يجب أن ادع صداقتنا تنمو و تأخذ مكانها الصحيح و تستمر لتتوج الحب الذي أكنه لكِ .
ابتسمت و أخذت تفكر لبرهة ثم قالت:
- ردك هذا يجعلني أتسائل، أيهما الأقرب إليك، سارة الصديقة أم الحبيبة؟
قرب رأسه منها، و صار يحدق في عينيها، و أجاب برومانسية شديدة:

- لا استغنى عن الإثنتين .
ابتسمت له و نهضت تخبره بأن لقائهما وصل إلى نهايته، امسكها من ذراعها يرجوها تبقى لبعض الوقت.
همس:
- ابقي، لقائنا لم يحلو إلا الآن.
طالعته للحظة و قالت: ما رأيك أن توصلني؟
نهض بمرح من مكانه كالأطفال:
- بكل سرور.
ضحكت في سرها من ردة فعله الطفولية، فهو بعد كل هذهِ السنوات مازال طفلاً تسعده ابسط الأشياء.
أدار امين محرك السيارة متجهاً صوب بيت خالته، يدندن مع الموسيقى و بين الفينة و الأخرى يسأل سارة عن رأيها بصوته و هل يصلح أن يصبح مغني بدلاً من مهنة الصحافة التي بدأت تجلب له وجع الرأس، بأسلوب فكاهي محاولاً أن يترك ذكرى جميلة للقائهما الذي كان ثقيلاً في بدايته و كانت سارة بدورها قررت أن تتناسى همومها لبعض الوقت و تستمتع بوقتها برفقة الرجل الذي هو بمثابة النور الذي يخلصها من ظلمة كوابيسها التي تخشى أن تتحول إلى واقع .
كانت منسجمة معه، تصفق و تغني و تضحك حتى وصلا إلى منعطف مكتظ بالمتظاهرين يحملون بيديهم لافتات تشجب و تدعو إلى اعادة الإنتخابات حيث كان اغلبيتهم من فئة الشباب و كانوا موحدين باللون الاخضر.
خيم الصمت في السيارة و علت اصوات المتظاهرين في كل مكان، كانت الساحة مليئة برجال الشرطة المتأهبون لأي تصرف يمكن أن يؤدي إلى شغب بين المتظاهرين، و بالفعل لم يمضي إلا بضع ثوانٍ و تحولت التظاهرات السلمية إلى ساحة للعراك ما بين المتظاهرين أولاً ثم تدخلت الشرطة و اختلط الحابل بالنابل ...

- أمين، ارجوك اخرجنا من هنا بسرعة، انا خائفة.
صرخت سارة تترجى امين الذي كان يبحث عن طريق يخلصهما من تلك المعمعة و يحاول تهدأتها بالكلمات في نفس الوقت.

ركن السيارة امام مبنى العمارة قائلاً:
- أخيراً وصلنا.
مسندةً رأسها إلى المقعد، مغمضة العينين تستمع إلى موسيقى هادئة تنبعث من راديو السيارة، قالت و هي على تلك الحالة:
- ليت هذا الكابوس ينتهي.
- سينتهي.. كوني واثقةً من ذلك، فلا شيء يبقى على حاله.
طالعته بنظرات يملأها الشك للحظات، فهي شبه متأكدة بأن الأمور سوف تزداد سوءاً مع الوقت، لكن قلبها لم يطاوعها أن تستمر بهذا النقاش و كانت تريد أن تنهي لقائهما بود قدر المستطاع، ابتسمت قائلة:
- إنه لشيء جميل أن يكون في حياتنا اشخاص يصورون لنا الواقع عكس ما نراه.
سكتت للحظة ثمّ اكملت ببعض من التوتر:
- أمين أنا آسفه إن ازعجتك اليوم بكلامي، كل ما هنالك إنني إنني...
أخذ يدها بين يديه و قال لها بنبرة مطمئنة:
- سارة، اهدئي، فأنتِ لستِ مضطرة أن تشرحي لي شيئاً.. أنتِ يحق لكِ أن تتصرفي على طبعيتكِ و أنا من واجبي أن أتحملكِ.. مفهوم؟
طبعت قبلة خجولة على خده و عندما احست بخشونة ذقنه، قالت وهي تستعد لمغادرة السيارة:

- لا تنسى أن تحلق لحيتك في المرة القادمة، و إلا..
حك رأسه يقول ضاحكاً:
- و إلا سوف تحرمينني من قبلاتكِ.
فتحت راحتي يديها للإشارة إنها لا تعلم كيف ستكون ردة فعلها إذا جاء للقائها بلحيته الكثيفة، في موعدهما القادم، بعدها غادرت بمرح.

بمجرد أن وضعت قدميها داخل العمارة انتابها إحساس بالضيق جراء الصمت المطبق الذي يعم العمارة، و كأنها تخلو من السكان، فهي برغم طبعها الهادىء إلا إنها لا تطيق الصمت حيث كان يعطيها انطباع بأن الحياة توقفت.
توقفت مترددةً في الصعود إلى المصعد للحظات ثمّ اتخذت القرار في الذهاب إلى بيتها الذي كان في الطابق الخامس عبر السلالم، حتى تعطي نفسها فرصة التفكير بأمين و اللحظات التي قضتها معه، فقد قررت أن تنهي حالة الشك التي تعيش فيها و مواجهة والدها بشكوكها.
كان المنزل يغط في ظلام موحش، ما عدا غرفة أبيها التي كانت مضاءة و كان صوته يصدح في البيت حيث كان يجري اتصالاً هاتفياً.
تقدمت بخطوات بطيئة كي لا تثير انتباهه، كانت تلك الفرصة المناسبة أن تفهم ما الذي يجري و هل هي على صواب أم كل الأفكار التي في رأسها ليست سوى اوهام.
اختلست نظرة إلى الباب المفتوح، كان والدها يذرع الغرفة ذهاباً و ايابا، و يتحدث بصوت مليء بالثقة:
- اسمعني جيداً، نحنُ يجب أن نستغل ما يحدث لصالحنا... يجب أن نستفيد من الفوضى التي خلفتها الإنتخابات.
الناس غاضبة و هذا الغضب قادر على تغيير مجرى الأمور و إسقاط النظام في ليلة و ضحاها...
ارتعش جسدها و أحست بنبضات قلبها تتسارع، ركضت إلى غرفتها غير مكترثة إن كان والدها قد أحس بوجودها.
أغلقت الباب خلفها، و أشعلت ضوء الغرفة و ظلت مسندة جسدها إلى الباب لبرهة تعيد الكلمات التي سمعتها من والدها للتو في ذهنها:
- علينا أن نستفيد من الفوضى التي خلفتها الإنتخابات... علينا أن نستفيد من الفوضى التي خلفتها الإنتخابات...
تمددت على السرير، و حدقت بالسقف ذي اللون البنفسجي.. بكت بصمت و إحساس بالخوف من الآتي بدأ يلتهمها .

الفصل الثاني

بعض الأيام أتمنى
لو استطيع أن اعود بحياتي للخلف، لا لأغير شيئاً
ولكن لأستشعر بعض الأشياء مرتين.
" منقول "

جنوب ايران / قبل الانتخابات بعدة شهور

يا مُقلّب القلوب و الأبصار
يا مُدبّر الليل و النهار
يا مُحوّل الحول و الأحوال
حوّل حالنا الى احسن الحال

كان التلفزيون يبث الدعاء في اللحظات الأخيرة من العام الذي يشرف على نهايته، كانت قطرات المطر تهطل بهدوء مصدرةً صوت يندمج مع صوت الدعاء الذي كان له مكانة خاصة في قلبها، إنها المرة الأولى التي تعيش فيها هذهِ الأجواء بعيداً عن عائلتها.
كانت تفتقدهم كثيراً، على وجه التحديد كانت تفتقد والدها، كان صوته يرن في أذنها حيث اعتاد أن يسألها عن أمنياتها للعام الجديد و كانت تخبره بدورها عن أمنياتها التي لا تعد ولا تحصى، فكان يضحك منها و ينصحها بأن لا تسرف في أحلامها و تكون أكثر قناعة .
كانت غارقة بأفكارها و إذا بذراع تطوقها و حضن دافئ يخبرها إن الجنة هنا بين ذراعيه، لا ذلك العالم الذي تحن إليه بإستمرار .
ردد هامساً في أذنها برومانسية شديدة:
- تعلمين إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بحلاوة العيد؟
تطلعت إليه بإنجذاب متناسية أي شيء يعكر مزاجها و تسائلت:
- حقاً؟ و ما السبب؟
اجاب:
- لأنكِ معي، وجودكِ في حياتي هو العيد بالنسبة لي.
في تلك الأثناء أعلن التلفزيون عن بداية العام الجديد و باركا لبعضهما بأجواء احتفالية يملأها الحب و الرومانسية.

الساعة الواحدة ليلاً

كادت الغرفة تغط في ظلام موحش لولا النور الخافت الذي يتسلل من خلف ستائر الغرفة، كانت تتقلب في فراشها سعياً منها للنوم لكن عبثاً كانت تحاول، إذ كان النوم يجافيها منذُ أيام، رفعت رأسها عن الوسادة تطالعه حيث كان الضوء المنبعث من الخارج يظهر ملامح وجهة جامدة حتى أثناء النوم، كم كانت بحاجة إلى التحدث معه عما يقلق تفكيرها .
لكن، حاولت طرد تلك الأفكار من رأسها بأي شكل من الأشكال، فوضعت رأسها على ذراعه و كفها على صدره، بقيت على تلك الحالة لبرهة حتى ارتسمت على وجهها إبتسامة هادئة وهي تتحسس نبضات قلبه التي تدق بإنتظام تحت كفها، كان ذلك بمثابة هدهدة تساعدها على النوم و بالفعل كانت على وشك أن تغط في نوم عميق لولا صوته الذي رن في اذنها و هو يسألها:
- سوزان، ألم تنامي بعد؟
أجابت وهي مغمضة العينين:
- ليس بعد.
_ ما الذي يشغل تفكيركِ؟
ردت بعد لحظة صمت:
- لا شيء محدد.
- سوزان..
- هممم؟

- تعلمين ما الذي يضايقني؟
- ماذا؟
- عندما تقومين بالتمثيل بأن كل شيء على ما يرام.
رفعت رأسها متسائلة بذهول:
- أنا أمثل!
مد يده و أشعل المصباح الذي بجانبه ثمّ صار يحدثها بشيء من العصبية مصحوبة بالحزن:
- صحيح نحنُ لم نعرف بعضنا إلا حديثاً، لكن الأشهر التي عشت فيها معكِ كافية لكي اعرف إنكِ لستِ سعيدة معي.
قال ذلك و هو يبتعد عنها، جلس على طرف السرير يوليها ظهره و أمسك رأسه بين يديه.
راحت تجلس بالقرب منه، وضعت يدها على كتفه قائلة بصوت مرتعش و جسدها يرتعش أيضاً ، إذ كانت مشاعرها متضاربة بين الحنين إلى العائلة و بين هذا الرجل الذي تحدّت الجميع لأجله:
- جمال ، أنا أعشقك و أعشق الحياة التي أحياها معك، لا نقاش في ذلك.. لكن كُلما هنالك إنني اشتاق إلى أهلي كثيراً و اعلم إنها مرحلة و سوف تمر.. لكن.. أنا بحاجة إلى الوقت لكي أتأقلم مع الوضع الجديد.. هذا كل ما في الأمر.. صدقني.
مال برأسه نحوها و قد بدا أكثر هدوءًا، فقال بعد شيء من التفكير:
- حسناً، ما رأيكِ بزيارتهم غداً؟
فاجأها بطلبه و ظلت تتطلع إليه بإنشداه للحظات و تهز رأسها بالنفي قائلة:
- لا لا أريد، أنا وعدت أبي بأنه لن يراني بعد ذلك اليوم.
قال بحماس:
- دعكِ من ذلك اليوم، فلقد مضى عليه أشهر عديدة.. لا تدرين، لعل مثلما أنتِ تشتاقين لأهلكِ، هم أيضاً يشتاقون إليكِ و ينتظرون منكِ الخطوة الأولى.
سكتت، كان كل همه اسعادها لذلك أصر قائلاً:
- دعينا نجرب، صدقيني لن نخسر شيئاً، بالنهاية نحن سوف نغادر المدينة في حال استقبلنا والدكِ أو لم يستقبلنا.

أجل هذا ما كانت تبحث عنه، أن ترى عالمها الذي تركته خلف ظهرها للمرة الأخيرة...

اليوم التالي

دارت ببصرها في زوايا المنزل، هنا حيث ولدت و ترعرعت و تكونت شخصيتها، حيث كانت الفتاة الوحيدة في العائلة التي جائت بعد أربع صبيان، لذلك كانت المدللة لدى أباها الذي لم يكن يرفض لها طلب، لكن عندما تعلق الأمر بإختيارها لشريك حياتها، الجميع عارض اختيارها بحجة أن التقاليد تقول بأن البنات يجب أن يتزوجن ضمن حدود العائلة ولا يذهبن للغريب .

عادت بالنظر إلى زوجها حيث كانت ترتسم على شفتاه ابتسامة متوترة، اعادتها إلى اول لقاء جمعها به في مقر عمل والدها، حيث كان قادماً لإبرام بعض الصفقات التجارية معهم بصفته مندوباً من الشركة التي يعمل بها في طهران و سوزان كانت المعنية في الأمر من قبل والدها..
من هناك بدأت قصة حبهما، إذ جذبها هو بشخصيته الجادة و المتزنه و هي سحرته بأسلوبها الراقي في التعامل مع الآخر....

نهضت تسير في زوايا المنزل المؤثث بالأثاث الفاخر ذا الطابع الكلاسيكي، كل شيءٍ كان على حاله، حتى كرسيها الهزاز الذي كانت تجلس عليه بإستمرار إما تقرأ رواية او تشرب الشاي و تتأمل غروب الشمس من خلال النافذه الكبيرة المطلة على الفناء.
اقتربت بهدوء بإتجاه صور العائلة الموضوعة على الرف في إطار بشكل قلب، تأملت الصور بإبتسامة هادئة حزينة، لكن تلاشت ابتسامتها عندما لاحظت أن القلب لم يكن مكتملاً، إذ أن صورتها التي لم تكن في مكانها جعلته ناقصاً، أحزنها ذلك كثيراً و انحدرت دمعة على خدها لا ارادياً، لكن لم يدم ذلك الوضع طويلاً إذ جائت العاملة لكي تخبرها بأن السيد الوالد بإنتظارها في غرفة المكتب.
إنتابها إحساس بالتوتر و تذكرت صورة والدها و هو يقول بلهجة قاسية بعدما وقع عقد زواجها:
" من هذهِ اللحظة سأعتبركِ ميتة، ولا لقاء يجمع الأحياء بالأموات إلاّ في المقابر. "
لم تكن تتصور بأنها سوف تعود إلى البيت الذي تركته بملء إرادتها بتلك السرعة و من دون أي مقدمات، فكانت تسأل نفسها كيف ستكون ردة فعل والدها عندما يراها و كيف سوف يستقبلها، لكن لم تجد الإجابة على الأسئلة التي تدور في ذهنها، و ها هي الآن تقف على أعتاب غرفة المكتب تنتظر إذن والدها بالدخول حيث كان يجلس خلف مكتبه يوليها ظهره، مرت ثوانٍ و لم يقم بأي ردة فعل فصارت مجبرةً على دخول الغرفة، دارت ببصرها في زواياها التي كانت تعني لها الكثير، حيث أخذتها إلى أيام الدراسة و الإمتحانات، فعندما كانت تحتاج إلى الهدوء و التركيز لم تكن تجده إلاّ في هذهِ الغرفة، شعرت بالهم يطبق على صدرها وهي تستذكر ماضيها و كانت ستغادر المكان على الفور لو إنها لم تلمح صورتها التي كانت ناقصة في الصالة، وجدتها موضوعة على المكتب، غمرتها السعادة و احست بالشجاعة في بدأ الحديث قائلةً بصوت يرتعش:
- صباح الخير، بابا.
كم كانت تتمنى أن يتقبلها مثلما هي، بقراراتها و زواجها الذي شكل حاجزاً في ما بينهما، كانت تعشق جمال و تعشق والدها بالمقابل و كانت تظن أن الحياة ستكون كريمة معها و تحظى بوجود الإثنين في حياتها، لكن القدر وضعها في لعبة الإختيار، إما الحب او العائلة، فاختارت الحب.
عندما لم يقم والدها بأي ردة فعل، قررت أن تقول ما أتت لأجله و تذهب:
- أعلم إنك تسأل نفسك ما الذي جاء بي، أنا جئت كي أودعكم، لأنني سوف أغادر المدينة بعد ساعات، أنا ذاهبة إلى طهران حيث يعيش جمال، ولا أعلم هل سنلتقي مرةً ثانيه أم لا.. لذلك.. أنا.. بحاجة إلى سماع صوتك.. بابا.. تكلم معي.. قل أي شيء.. أرجوك.
خنقتها العبرة و انهمرت باكية بحرقة، استدار بكرسيه نحوها، طالعها بلامبالاة للحظات طويلة ثمّ نهض عن كرسيه قائلاً بحدة:
- اذهبي، ولا تعودي إلى هنا إلا في حالة من الحالتين، إما تكوني مطلقة او أرملة، عدا ذلك لا اريد أن أراكِ مجدداً.
كلماته القاسية هزت مشاعرها فجعلتها أكثر تماسكاً، مسحت دموعها بهدوء و قالت:
- أعدك وعداً لن أخلفه هذهِ المرة، وهو إنني سأختفي من حياتكم إلى الأبد و عندما أموت، خبر موتي أيضاً لن تسمعوا به.. الوداع يا أبي.
ظل يطالعها وهي تغادر الغرفة دون أن تلتفت إلى الوراء بعينين دامعتين، كان سهلاً عليه أن يمنعها من الزواج من الرجل الذي اختارت أن تكمل حياتها معه، لكن كان أهون عليه أن يحرم نفسه منها على أن يبقيها بجانبه و يتحمل نظراتها وهي تتهمه في كل لحظة بإنه السبب وراء تعاستها.

رافقتهما العاملة إلى باب المنزل، لحظة خروجهما أخرجت شيئاً من جيبها قائلةً:
- تفضلي، السيدة طلبت مني أن أسلمه لكِ.
كان شيئاً صغيراً ملفوف بمنديل، فتحته وهي تتسائل بصوت حزين:

- ماما هنا؟
أجابت الفتاة همساً بعدما ألقت نظرة حذرة حولها:
- أجل، سمعتها تتحدث مع السيد و تتوسله بأن يسمح لها برؤيتكِ. لكنه رفض.
فتحت سوزان المنديل بيدين مرتعشة، كان بداخله سلسال يحمل اسم والدتها "ريحانه" وضعته في عنقها على الفور، قالت وقد اجتمعت الدموع في عينيها:
- وصلي سلامي لأمي و أخبريها بأن سلسالها سيبقى يزين رقبتي ما حييت.

القت نظرة اخيرة علىٰ المكان بعدها أمسكت كف زوجها قائلةً:
- حان وقت الرحيل.

الفصل الثالث

يا ايُّها الحُزنُ الذي لا يَنتَهي: زِد...
" مظفر النواب "

الشعب الذي وضع النظام، هو ذاته الذي سيقوم بإسقاطة.
هذا يجب أن يكون شعار كل مواطن سرقت منه حريته، استقلاليته و ابسط الحقوق التي يجب أن يتمتع بها.
لا تيأسوا و استمروا في الدفاع عن حقوقكم .

كان السيد غفوري متسمراً امام شاشة التلفاز يطالع واحدة من عشرات القنوات المعارضة للنظام التي تبث ليل نهار و تحرض المواطنين على الإستمرار في المظاهرات بشكل أشرس و أوسع.
رنات الهاتف المتتالية أخرجت السيد غفوري من التركيز في الشاشة، رد على الهاتف بذهن مشوش حتى أن المكالمة لم تأخذ من وقته سوى ثوانٍ معدودة، لكن وقعها عليه كان كبيراً، حيث ارتعش جسده و ارتمى على الاريكة مذهولاً.
بعد لحظات و بعدما استوعب ذهنه الكلمات التي رددت على مسامعه " لقد أُلقي القبض على زوجتك " قرر أن يتصرف بسرعة قبل أن يتم اقتحام بيته و القبض عليه هو الآخر.

كانت ممددة على سريرها تطالع خيوط الشمس التي يسطع نورها من خلف شباك غرفتها المفتوح، تفكر باللقاء الذي جمعها بأمين، كانت تعشق اللحظات التي تمر وهي بجانبه بسرعة البرق و ابتسامة حالمة تزين تفاصيل وجهها الهاديء، رغم التشويش الذي تركه حوار والدها عبر الهاتف.
بلحظة أثارت انتباهها رائحة غريبة و دخان ينبعث من شباك الغرفة، نهضت مرعوبة من مكانها، لم تعرف كيف قادتها قدميها إلى فناء البيت بعدما رأت ألسنة النار المشتعلة من خلف شباك غرفتها، تقدمت من والدها بخطوات بطيئة وهي تراقب ما يفعل، و نظرات الدهشة تعلو وجهها حيث كان واقفاً قرب كومة النار و بجانبه صندوق كبير يخرج من داخله أوراق و يرمي بها داخل النار.
- بابا، ماذا تفعل؟
هكذا سألته بصوت مرتعش، إلتفت إليها، كانت ملامح وجهه تظهر حزن كبير و غضب بنفس الوقت، اجابها:
- أحرق ما يجب حرقه، لكي احميكي من ال...
سكت و لم يكمل جملته فجأة، صاحت:

- بابا ما الذي يحدث ؟
رد عليها بخيبة:
- لقد ألقي القبض على أمكِ.
اقتربت، وضعت يدها على كتفه تطالع ملامح وجهه المتعبة حيث كان يتصبب عرقاً بسبب حرارة الشمس التي تسطع على رؤوسهم و النار الملتهبة، تسائلت وقد تجمعت الدموع في عينيها:
- من؟
رد ساخراً:
- أولائك الذين يدافع عنهم زوج خالتكِ...
اخذ كرسياً و جلس عليه، مسح العرق عن وجهه براحتيه و اردف قائلاً:
- أمكِ لن تتحمل البقاء هناك، سوف تعترف بكل شيء بمجرد الضغط عليها، لذلك يجب إتلاف اي شيء يخص فعالياتنا، قبل أن يتم القبض علي أنا أيضاً، لا أريدكِ أن تتورطي معنا يا ابنتي.
بينما كانت أسئلة عدة تحتدم في رأسها، جثت على ركبتيها أمام أبيها تسأله:
- بابا ألن تفعل شيئاً لأمي؟
طالعها بنظرة متشائمة للحظة لكن سرعان ما غير ردة فعله حيث قال في نفسه "هي خائفة على امها و يجب أن اطمأنها حتى و أن كان الوضع غير مطمئن " ابتسم بفتور و ربت على كتفها قائلاً بلهجة مطمئنة:
- لا تقلقي يا ابنتي، سوف افعل ما بوسعي لأجل أمكِ.
فنهض مغادراً دون أن يسمع منها أي كلمةٍ اخرى، ظلت سارة جالسةً في مكانها تطالع بعينين دامعتين النار التي سرعان ما تحولت إلى رماد.

لمسة دافئة لخدها، أيقظتها من نومها المشوش الملئ بالكوابيس، فتحت عينيها بصعوبة شديدة حيث كانت تشعر بألم كبير في رأسها، لذلك اغمضت عينيها ثانيةً و حركت جسدها بخمول كي تنام على الجنب الآخر.
- سارة أستيقظي.
إلتفتت برأسها غير مستوعبة الصوت الذي تردد على مسامعها، عندما رأت أمها جالسة قربها على السرير، ارتمت في احضانها وهي تردد بلهفة:
- ماما هذهِ أنتِ، أم إنني أحلم؟ لا تعلمين كم كنتُ خائفة عليكِ.
طالعتها والدتها بنظرات متشككة و قالت:
- اجل، واضح جداً من نومك العميق، إذ لم تشعري بي عندما دخلت الغرفة.
ضحكت من نظرات امها لها حيث احست كأنها في جلسة استجواب، فقالت:
- دعكِ مني الآن و اخبريني كيف أطلقوا سراحكِ بهذهِ السرعة؟
نهضت السيدة رؤيا قائلة:
- لقد ألقي القبض على إثنين من أصدقائنا و أنا استطعت أن أهرب بأعجوبة، لذلك اضطررت أن اختبئ حتى أن هدأت الأوضاع و عدت إلى البيت.

ازاحت الستار و فتحت الشباك فنفذ نور الشمس إلى زوايا الغرفة التي كانت تغوص في الظلام، كانت السيدة رؤيا في منتصف الخمسينات من عمرها ذات جسم ممتلئ و قصير و وجه دائري متناسق مع جسمها، عكس اختها ريما التي كانت تتمتع بجسم أنثوي جذاب و ملامح وجهها الهادئة كانت محط إعجاب الرجال في زمانها و سارة كانت صورة طبق الأصل عن خالتها حيث ورثت عنها اغلب صفاتها البارزة و لعل احد الأسباب التي جعلت امين يعشق سارة هو الشبه الكبير بينهما.

سكتت رؤيا للحظات طويلة، فإن الموضوع الذي تود طرحه على ابنتها يحتاج منها التركيز قليلاً.
اعتدلت سارة في سريرها و عدلت وسادتها متسائلة:
- ماما بماذا تفكرين؟
أجابت و نظراتها مثبتة على رجل يجول في الشارع ذهاباً و ايابا بشكل يثير الشكوك فيها:
- أفكر بالشخصين اللذين أخبرتكِ عنهما، لا أدري إلى متى يمكنهما الصمت و عدم الاعتراف بما يعرفونه من امور مهمة قد تؤدي بنا إلى حبل المشنقة.
فعادت بالنظر إلى ابنتها، لقد فعلت ما وصاها به زوجها وهو تهويل الواقع قدر الإمكان، للضغط على ابنتهما في تقبل فكرة الحياة الجديدة التي يسعيان إليها، لكن سارة لم تكن بحاجة إلى التوضيح، فلقد احست بما يدور في رأس أمها، فسألتها مباشرةً:
- إلى ماذا تلمحين يا أمي؟
اختصر ذلك السؤال عليها الطريق، فجلست بجانبها على السرير، فكرت قليلاً ثمّ قالت:
- اسمعيني يا ابنتي، انتِ واعية بما فيه الكفاية بخطورة الأوضاع، لذلك لن احدثكِ عما يحدث حولنا و سأدخل في صلب الموضوع.
أخذت نفساً عميقاً ثمّ أردفت قائلةً:
- لمصلحتكِ و مصلحة العائلة، انا و ابوكِ قررنا الهجرة.
سكتت محدقة بإبنتها تلمس وقع كلماتها عليها، ضحكت سارة ساخرةً و ارتعش صوتها وهي تسأل:
- تهاجرون؟!
- نهاجر.. أنا.. أنتِ..و ابوكِ.
صححت لها المعلومة و نهضت من مكانها على الفور، كانت ترفض أن تصدق ما سمعته للتو، فإستمرت في طريقتها الساخرة:
- حقاً! و إلى أي بلد سوف نهاجر نحنُ الثلاثة؟ أمريكا، إنجلترا، ايطاليا، ما رأيك أن نذهب للهند، فأنا أعشق هذا البلد؟
انتفضت أمها قائلة: كفي عن السخرية يا فتاة، أنا جادة بكلامي، الوضع غير مطمئن، أتفهمين؟
ردت بنبرة متحدية لكن نبرتها كانت هادئة:
- لا! لا أفهم، ولا أريد أن أفهم، و لن أذهب معكم لأي مكان، لأنني ببساطة أحب حياتي التي أحياها هنا.
قالت ذلك و نهضت مغادرة الغرفة، فجذبتها أمها من ذراعها بعنف و قالت:
- لا تكوني أنانية يا سارة.
- نعم أنا أنانية، أنا من أدخلتكم في حرب مع الدولة لا ناقة لكم فيها ولا جمل.
لم تكن السيدة رؤيا تتصور أن الحوار مع ابنتها سيكون صعباً لهذهِ الدرجة، لذلك فقدت اعصابها للحظة فضغطت على ذراعها، قالت و شرر الغضب يتطاير من عينيها:
- كيف لا ناقة لنا فيها ولا جمل؟ أليس هذا البلد بلدنا؟ أليس لنا حق عليه؟
ربتت على يد امها التي مازالت تضغط على ذراعها و قالت بنبرة خالية من اي إحساس:
- إذن أبقوا للدفاع عن حقكم، الهروب ليس الحل الأمثل لمثل هذهِ الأمور.
طالعتها للحظات ثمّ قالت بنبرة ساخرة:
- مازلتي طفلة على فهم هذهِ الأمور.
ثمّ سارت مغادرة الغرفة، فتوقفت عند الباب قائلة:
- كوني جاهزة، بعد يومين او ثلاث سوف نسافر.
لم تكن علاقتها بأمها سيئة و لم تكن جيدة كذلك، الشيء الذي انطبع في ذاكرتها عن أمها منذُ الطفولة هو مشاركتها الأسبوعية في المؤتمرات و الندوات السياسية حيث كان والدها رئيس حزب و كانت امها تساعده في إدارة الأمور، لذلك كانت تصطحبها معها و عندما بدأت تمل من مرافقتها، اضطرت أن تبقيها

عند اختها و هذا الأمر الذي جعل العلاقة بين سارة و خالتها تتوطد و تأخذ بعداً آخر.

مضت ساعات طويلة و ساره حبيسة الغرفة، تبكي و تسأل حالها آلاف المرات لماذا وضعتها الحياة في هذا الإمتحان الصعب؟

كانت جالسة على سريرها تدفن رأسها بين ساقيها و تبكي بصوت متقطع منخفض حينما دخل ابوها الغرفة، جلس بجانبها و قد علت وجهه مسحة من الحزن، اخذ يرفع رأسها بيديه و قال محدقاً بوجهها الذي اغتسل بالدموع:
- سارة.. ابنتي.. حبيبتي، تركناكِ على راحتكِ حتى تستوعبي ما حدث، مضت ساعات طويلة و انتِ مازلتِ على هذهِ الحالة، ظننتكِ اقوى من ذلك.
مسحت دموعها بإضطراب شديد و قالت بصوت مرتعش ببعض من العصبية:
- انا لستُ قوية امام الأشياء التي احبها.. و.. لستُ...
احست بأنها غير قادرة على لفظ الكلمات، سكتت و صارت تبكي مجدداً، ربت والدها على كتفها و قال:
- توقفي عن البكاء و لنتكلم بهدوء.
قالت بنبرة متوسلة :
- أرجوك بابا لا تجبرني على شيء لا أريده.
تنهد بعمق محاولاً تبرير الوضع لها:
- إنه لسهل عندي أن تبقي هنا على أن تأتي معنا و أنتِ بهذه الحالة، لكن الوضع خطر يا ابنتي و لن تستطيعي أن تعيشي بسلام، ستكونين بعيون الجميع إبنة من خانوا البلد و هربوا.... أتعرفين لماذا؟ لإننا لن نتوقف عند هذا الحد و سوف نستمر بالدفاع عن الهدف الذي نسعى إليه.
سكت للحظة ثمّ أردف قائلاً:
- ودعي من تريدين توديعهم، لإننا سوف نغادر البلد بعد يومين فقط. ولا تخبري احد بما سنفعله، على وجه الخصوص أمين و عائلته.
نهض من مكانه فأمسكت ذراعه ترجوه باكية:
- أرجوك اسمعني ولو لمرة واحدة.
ابعد يدها قائلاً حاسماً الحديث: لا تحسسيني كأن حياتكِ مرتبطة بأمين و بأنكِ ستموتين بعيداً عنه.. لا أريد ان أسمع شيئاً و إنتهى النقاش في هذا الموضوع.

إنتهى النقاش.

هذا يعني أن لا رجعة عن قرار أبيها و الأمر محسوم بالنسبة إليه و آخر شيء يفكر به هو حالتها النفسية، فقالت بحالة يملؤها اليأس:
- بابا.. لعلني لن أموت في ابتعادي عن أمين، لكنني سأعيش كالأموات.. كن واثقاً من ذلك.
عاد بالنظر إليها و قال بعد التفكير لبرهة:
- كل شيء في البداية يبدو صعب و مستحيل، لكن مع الوقت ستعتادين الوضع الجديد و سوف تحبينه أيضاً، كوني واثقة من ذلك يا ابنتي.

الفصل الرابع

أُريدك دائماً بقُربي
إن وقع حُزن الأرض على كَتفي
أميلُ إليك...
" زهراء الحجاج "

رأسها المسنود على زجاج السيارة و عينيها المحدقة بالشوارع وهي تمر من أمام نظراتها الحزينة بسرعة البرق، تحكي عن ذكرى لم يمضى عليها إلاّ ثلاث سنوات، لكنها تتجسد في مخيلتها كأنما مضى عليها دهر. كانت على تلك الحالة مُذ حطت الطائرة في مطار طهران، صمتها العجيب و تقوقعها على نفسها كان يحزن جمال بشدة، حيث نظراته لم تفارقها، لكنها لم تكن ترى كل ذلك، لمس كفها و قرب رأسه يهمس في أذنها:
- أهديكِ هذهِ الأغنية.
و اشار بإصبعه بإتجاه مذياع السيارة حيث كان يبث اغنية رومانسية، نظرت إليه للحظة ثم ابتسمت و كانت إبتسامتها مشرقة هذهِ المرة، رفعت رأسها عن زجاج السيارة و أسندته على كتفه و ظلت يداهما متشابكتان إلى أن أعلن سائق السيارة عن وصولهما الى بيتهما الذي يقع في منطقة شعبية تعج بالسكان في طهران، في عمارة من عشرة طوابق و كان بيت جمال يقع في الطابق الرابع و من سوء حظهما يومها كان المصعد معطل، عند وصولهما الطابق الرابع اخذ جمال نفساً من عناء صعود السلم و اشار بيده صوب باب مقابل باب شقته و قال:
- هذهِ شقة خالتي التي ربتني. سوف أعرفكِ عليها لاحقاً.
و سارا نحو شقتهما ،دارت سوزان ببصرها في زوايا البيت المكون من صالة صغيرة مربعة الشكل و مطبخ مفتوح على الصالة و كان البيت مؤثث بشكل بسيط و غير مرتب حيث كان بحاجة إلى بعض اللمسات الأنثوية لتدب الروح فيه.
احسّت سوزان بصعوبة في التنفّس بسبب الرطوبة التي تجتاح البيت، سارت بإتجاه الشرفة المطلة على الشارع، أزاحت الستار و فتحت الباب لكي يتغير هواء البيت، فملأت أصوات السيارات و صياح الناس البيت قبل الهواء، تسائلت و زوجها منهمك بإدخال الحقائب إلى البيت:
- جمال، كم عدد الغرف في الشقة؟
اجاب:
- اثنين.
اغلق باب الشقة و أردف بمرح:
- واحدة لنا و الاخرى لطفلنا في المستقبل.
وقفت بالمقابل منه و قالت:
- بيتك جميل و مريح ايضاً.
صحح لها الجملة قائلاً:
- بيتنا.
مسحت العرق عن جبينه بطرف شالها و طالعت جدران البيت المطلية باللون الاصفر الفاتح الذي اشعرها براحة نفسية افتقدتها منذ فترة، فرددت هامسةً: " بيتنا "

في اليوم التالي

- هل انتِ مستعدة؟

تسائل جمال بنبرة جادة جداً، تغيرت ملامح وجهها و أجابت بقلق:
- نبرتك مقلقة يا جمال، تُشعرني كأنك ستدخل ساحة للحرب.
انفجر ضاحكاً و ضمها إليه لكي يطمئنها قائلاً:
- لا تقلقي حبيبتي، فإن خالتي امرأة طيبة جداً و أنا كنت امازحكِ.
في تلك اللحظة فتح باب المنزل و اطلت من خلفه امرأة في الخمسينات من عمرها، طولها متوسط و ذات وجه دائري بشوش قائلةً وهي تراهما متعانقين:
- أيها العاشقين، هنا ليس مكان مناسب لتبادل الحب.

بعد دقائق

احاطت الخالة فرح، سوزان بالحب و الود و كان استقبالها لها كبيراً، لدرجةً ان سوزان تذكرت والدتها في تلك اللحظات و اغرورقت عيناها بالدموع من شدة الفرحة التي غمرتها و احست بالجو العائلي الذي كانت تفتقده كثيراً ...
بعد وجبة الغداء التي انقضت بأجواء عائلية مريحة، اقترحت الخالة فرح على سوزان أن تأخذها بجولة في البيت في حين كان جمال جالساً في الصالة يطالع مباراة لكرة القدم.
حتى وصل بهما المطاف إلى غرفة النوم التي كانت صغيرة بعض الشيء، لكن الشيء الوحيد الذي لفت انتباه سوزان فيها هو حائط الذكريات، صارت سوزان تحدق بالصور بفضول شديد، فأشارت فرح على احدى الصور و قالت بنبرة هادئة:
- هذا زوجي، توفي قبل ثلاث سنوات، كان رجل لا مثيل له.
- رحمه الله.
قالت ذلك و سكتت للحظات ثم اردفت سوزان متسائلة:
- تزوجتما عن حب؟
اومئت بالنفي، اجابت و عينيها ثابتة على صورة تجمعها بزوجها حيث كانت ترتدي ثوب الزفاف و كانت ملامحها حزينة جداً في الصورة:
- زواجنا كان تقليدي، زواج الأقارب و ما إلى ذلك. لم أكن ابلغ السابعة عشر من عمري عندما تحدث عمي مع ابي بشأني لأجل إبنه البكر الذي يعيش في امريكا و كان يعتبر فرصة لا تعوض لأي فتاة.
لكنني كنت رافضة الزواج من الأساس، فلا احد اهتم لامري، و كل شيء حدث بسرعة شديدة، حتى إنني لم اجد الفرصة في التحدث مع ابن عمي لاخبره بوجهة نظري، فنصحتني احدى صديقاتي بأن أحول حياته إلى جحيم، لحظتها سوف يوافق على الإنفصال... كنت أشعر بغضب شديد من الجميع و تحول غضبي إلى كره لإبن عمي الذي سافرت معه إلى أمريكا بعد العرس مباشرة، يومها كنت اشعر إنني أتعس إنسانة على وجه الأرض و في أول ليلة جمعتني به تحت سقف واحد افرغت كل الحقد والغل الذي بداخلي نحوه في تلك الليلة، كنت قاسية معه بشدة و صرت انعته بأبشع الكلمات، فهو كان سبب تعاستي حتى و إن لم يكن بصفة خاصة، امّا هو، لم يقم بأي ردة فعل، فقط ظل مصدوماً يطالعني بإنشداه .
لأسبوعين كنا نعيش معاً كالغرباء لا شيء يجمعنا سوى سقف البيت، حتى قرر زوجي أن ينهي تلك المأساة طالباً مني أن ننسى بأننا زوجين و نبدأ في التعرف على بعض من جديد، فطلبت منه الطلاق، قال لن يطلقني لإنه لا يريد أن يظلمني، لم افهم قصده و لم يكن بوسعي الرضوخ لطلبه بتلك السرعة، لكن...
توقفت فرح عن الكلام للحظة، فطالبتها سوزان بتكملة القصة بحماس و قالت:
- ها لكن ماذا؟ اكملي.
- تبدين متحمسةَ لسماع باقي القصة؟
- متحمسة جداً، اكمليها.

تنهدت بعمق و أكملت قائلة:
- لكنه سرق قلبي بعطفه و طيبة قلبه و حنانه، أُعجبت به و صرت أتوق للحظات التي يكون فيها بجانبي، لكنني لم أعترف بذلك و كان غروري يمنعني من ذلك..
و بعد مرور أربعة اشهر.. في يوم أصيب بحمى شديدة، يومها اكتشفت حجم الحب الذي أكنه له بداخلي.
خفت من اللحظة التي يفارقني فيها و صرت ادعو الله أن يعافيه لأجلي....في أحد الايام عندما كان لا يزال طريح الفراش و كنت أعطيه الدواء، قال لي بإنه سيمنحني الطلاق، لحظتها أجهشت بالبكاء لا إرادياً، فظن إنني أبكي من شدة السعادة، ارتميت في حضنه و أخبرته بأنني لا أريد الإنفصال.
عشت معه اجمل سنوات عمري...كان لي فيها الحبيب الذي لم اكن لأراه حتى في أحلامي.
و توفي بعد قصة حب دامت عشرين عاماً، لكنها لم تنتهي، لأن ذكراه معي بكل لحظة.
- آه يا لها من قصة جميلة.
قالت سوزان ذلك و من شدة اندامجها ضمت فرح و دموعها تنزل على خديها.

بعد دقائق

عادت فرح إلى الغرفة حاملة بيديها صينية الشاي، وضعتها على حافة السرير حيث كانت سوزان جالسة و مندمجة بتصفح ألبوم للصور فسألتها:
- ها كيف رأيتي الصور؟
فأجابتها مداعبة:
- جمال لم يتغير أبداً، فقط ازداد طولاً و وزناً.
ثم اشارت على احدى الصور و قالت:
- هذهِ الصورة أثارت فضولي كثيراً، لا أعرف ما السبب، اشعر أن ورائها قصة او حدث خاص.
نظرات جمال او طريقة إلتقاط الصورة أوحت لي هذا الاحساس.
تطلعت الخالة فرح بالصورة و ردت:
- انتِ ذكية جداً. بالفعل ورائها قصة سأرويها لكِ . عندما صار الحادث الذي اودى بحياة اختي و زوجها، جمال كان نائماً في المقعد الخلفي من السيارة و عندما ارتطمت السيارة بعمود الكهرباء فز من نومه مرتعباً .
و تسبب موت والديه له بصدمة كبيرة افقدته النطق كلياً، فعلنا كل ما بوسعنا كي نخرجه من تلك الحالة، لكن لا فائدة..
مرت اربع سنوات وهو على تلك الحالة حتى أن جاء ذلك اليوم..
يومها كان عندنا ضيوف و أنا كنت متعبة جداً فأغمى علي من شدة التعب، في تلك اللحظة صار جمال يصرخ و يرجوني بألا أتركه كما تركه والديه، بعدما عدت إلى وعيي و رأيته صار يتكلم لا تعلمين حجم السعادة التي شعرت بها و من شدة سعادتي أخذت الكاميرا و وثقت تلك اللحظة بهذا الشكل.
عادت سوزان تطالع الصورة بشكل اعمق بعدما عرفت القصة التي تحملها و رددت و عيناها محدقة بالصورة:
- الآن فقط استوعبت لماذا جمال كان يرفض التحدث عن ماضيه.
- ألم يخبركِ شيئاً عن ماضيه؟
اجابت بتأسف:
- كلا.. فقط أخبرني أن والديه توفيا وهو بعمر صغير جداً.
اخذت السيدة فرح نفساً عميقاً و قالت بنبرة حزينة بعض الشيء:
- لم يكمل العشرة سنوات عندما توفي والديه، كان صعباً عليه تقبل خسارتهم و اخذ وقتاً طويلاً حتى

استوعب فكرة عدم وجودهم في حياته، كان سيذهب لكي يعيش مع عمه في استراليا، لكنني بحكم عدم مقدرتي على الانجاب رجوتهم بأن يتركوه معي، لكنهم رفضوا بالبداية و استطاع زوجي رحمه الله أن يقنعهم بأن يبقى جمال عندي، لقد قمت بتربيته كأنه ابني بحق و كنت انتظر اللحظة التي يقرر الزواج بفارغ الصبر، لكي احتفل به مثلما حلمت دائماً، لكن...

احست بغصة جعلتها تلتزم الصمت فجأة، ضغطت سوزان على يدها برفق و قالت:

- أنا آسفه حقاً، لأننا لم نحقق لكِ حلمكِ.

تطلعت بها للحظات ثم استرسلت:

- سوزان.. تخيلي معي إنكِ بفستان أبيض طويل و باقة ورد حمراء بين يديكِ و جمال يرتدي بدلة باللون الكحلي يطوقكِ بذراعه و موسيقى و اغاني تملأ زوايا هذا البيت فرحاً و الناس يرقصون و من ضمنهم أنا.. تخيلتي؟

هزت سوزان رأسها بشوق، ربتت الخالة على كتفها و أردفت وهي تهم بالنهوض:

- استمري...

فتحت باب الغرفة و صاحت:

- جمال، تعال إلى هنا من فضلك.

و عادت تجلس بجانب سوزان حتى جاء جمال يستعجلها في قول ما تريده لأجل العودة إلى متابعة المباراة، فقالت و هي تشير بإصبعها بإتجاهه بأن يدخل بدلاً عن الوقوف على عتبة الباب، و قالت بنبرة صارمة لكي لا تعطيه الفرصة في الرفض:

- اسمعني جيداً، أنا قررت في هذهِ اللحظة أن اقيم في هذا البيت و بعد ثلاثة أيام حفلة عرس لكما و سوف أدعو الأقارب والأصدقاء، مفهوم؟

بدايةً استقبل جمال الامر بدعابة و ضحك قائلاً بإندهاش:

- عرس! كيف خطر ببالكِ هذا الأمر الآن؟

فقالت بنفس النبرة التي بدأت فيها كلامها:

- لا تظن إنني أخذ رأيك في الأمر.. لا.. انا إستدعيتك فقط لتكون على علم بالأمر.

فأحتج قائلاً:

- ولكن خالتي، ثلاثة أيام ليست كافية.

قالت بثقة:

- بلى كافية جداً و مناسبة ايضاً، لأن عمك حالياً يتواجد في البلد مع عائلته لقضاء عطلة العيد.. سندعوه و سيكون سعيداً بذلك حتماً..

نهضت خاتمة الحديث:

- انتهينا.

تركتهما في الغرفة و خرجت للبدء في تجهيزات العرس ،تطلع جمال بسوزان التي كانت تلتزم الصمت في تلك اللحظات، تقدم نحوها، جثى على ركبتيه امامها و وضع يديه على ساقيها و سألها هامساً:

- سوزان، ما رأيكِ باللذي قالته خالتي؟

ابتسمت بفرح و أجابت وقد لمعت عينيها:

- انا موافقة بالتأكيد.

و بالفعل بعد ثلاثة أيام تم العرس و ارتدت سوزان ثوب أبيض طويل مطرز بالورود، كانت تشع جمالاً و كان جمال مبهوراً بها و بجمالها، لكن كانت هنالك لحظات كان يشعر فيها بالحزن لأجلها عندما يلاحظ نظراتها تبحث في وجوه المدعوين عن شخص تعرفه، ربما والديها او اخوتها و عندما كان اليأس يغلب على مشاعرها، كانت تعود بالنظر إليه فتبتسم.

بعد الحفل بدقائق

كانت سوزان جالسة على طرف السرير منشغلة بإخراج الدبابيس من شعرها الأسود الطويل، انضم جمال إليها بعدما تكفل بإقفال باب المنزل و إطفاء الأنوار بنفسه ما عدا غرفة النوم، جلس بجانبها قائلاً:
- كانت ليلة جميلة، أليس كذلك؟
- اجل..
اجابت دون أن تنظر إليه حيث كانت منهمكة بترتيب خصلات شعرها، الأمر الذى ازعجه، فأخذ يمسك يدها قائلاً بنعومة:
- دعكِ من العبث بشعركِ و اعيريني انتباهكِ قليلاً.
نظرت اليه وقد توردت وجنتيها بحمرة الخجل و قالت مازحةً:
- جمال، نحنُ تزوجنا قبل فترة و الليلة ليست ليلتنا الاولى .
ازاح خصلة الشعر عن وجهها و قال همساً:
- و إن يكن، فكل ليلة اقضيها بجانبكِ بالنسبة لي هي ليلتي الأولى.
ثم طبق قبلة على جبينها بهدوء، فتسائل وهو يحدق في عينيها:
- سوزان هل حدث بينكِ و بين نفسكِ أن ينتابكِ الإحساس بالندم على التجربة التي تخوضينها معي؟
تطلعت إليه للحظات مستغربة السؤال، لكنها سرعان ما استجمعت نفسها و اجابت بثقة كبيرة:
- حتى هذهِ اللحظة، لا.
اخذ نفساً عميقاً و كأنما أزاحت سوزان بتلك الإجابة حملاً ثقيلاً عن عاتقة فقال:
- اذن، اريد وعداً بأنكِ لن تندمي على زواجكِ مني.
ابتسمت بإضطراب قائلةً:
- ليس قبل أن تعدني بأنك لن تتغير.. فوعدي لك مرتبط بوعدك لي.
طالعها بنظرات حائرة إذ لم يكن يتصور إنها سوف ترد على طلبه بطلب آخر، كان شبه واثق بأن لا شيء سيغيره، لكن ماذا بشأن الحياة و تقلباتها، هل يمكن أن يثق بها؟
و لأنه كان يتفهم ما تمر به، فكان لابد من أن يحسسها بالأمان وهي معه، فأخذ يمسك رأسها بين يديه، حدق بعينيها قائلاً:
- ثقي بي سوزان، ولا تفكري ولو للحظة واحدة بأن الذي بيننا سوف يتغير، فإن حبي لكِ إن لم يزداد مع الوقت، فلن ينقص ابداً.
نبرته المطمئنة هدأتها، وضعت يديها على كتفيه و قالت بطريقة اخاذة:
- و أنا أحبك اكثر مما تتصور و لن أندم على زواجي منك ابداً، اعدك.

الفصل الخامس

يوماً ما قلنا لن نفترق إلا بالموت
تأخر الموت و افترقنا.
" محمود درويش "

الساعة السابعة إلا ربع صباحاً

كان المقهى خالٍ ولا يسمع فيه، سوى صوت خطوات احد العاملين الذي كان يقوم بترتيب المقهى قبل وفود الزبائن إليه، حيث كان بين الفينة و الاخرى يطالع بفضول شديد، أمين الذي كان جالساً خلف طاولته بملامح خالية من أية تعابير، لكن من خلال نظراته المتكررة لساعة يده استفهم العامل بأن هذا الزبون قلق جداً، فتقدم نحوه بخطوات بطيئة متسائلاً:

- صباح الخير.. ماذا تحب أن أحضر لك؟

طالعه ثم اجاب بعد برهة:

- من فضلك جهز فطوراً كاملاً لشخصين ولا تحضره حتى يصل الشخص الثاني.

هز العامل رأسه موافقاً و غادر، بعد دقائق رن الجرس النحاسي المعلق على الباب معلناً دخول أحدهم إلى المقهى.

ابتهج أمين عندما شاهد سارة تدخل المقهى و كانت ترتدي ثوب أسود فضفاض منقط بنقاط حمراء، نسقته مع شال احمر طويل كانت تلفه حول عنقها إلى لفات متعددة، كانت تبدو مشرقة عكس آخر مرة إلتقى فيها، لكن كلما اقتربت اكثر كلما اتضحت له ملامح وجهها الشاحب و عينيها المنتفخة.

بعدما استقبلها بحرارة و شوق كبيرين و بعدما جلست على الطاولة أمامه، لمس تحت عينيها متسائلاً:

- سارة ما بها عينيكِ منتفخة هكذا؟

أجابت متظاهرة في البحث عن شيء في حقيبتها:

- لا أدري، لعله بسبب استيقاظي باكراً.

تأملها للحظة ثم قال بنبرة ساخرة:

- هذا الانتفاخ سببه البكاء و ليس النهوض مبكراً يا عزيزتي.

وضعت حقيبتها جانباً و قالت متجاهلة كلامة بابتسامة باردة:

- حسناً، حدثني عنك قليلاً، لا تعلم كم اشتقت اليك في الثلاثة ايام التي لم أراك فيها..

كان يعي جيداً بأنه خلف برودها المفتعل ذلك تحاول أن تخفي عنه شيئاً، لذلك تملكه الغضب و سألها بعصبية كانت بادية على وجهه أكثر، بحيث ظل صوته هادئاً:

- حقاً! اشتقتِ لي؟ اذن اين كنتِ طوال الثلاثة أيام الماضية؟ ها، لماذا لم تردي على اتصالاتي؟ لماذا كلما اتصلت و سألت عنكِ، كان الجواب إما سارة نائمة، سارة في الحمام، سارة خرجت.. أخبريني بصراحة اين كنتِ؟

زفرت نفساً بطيئاً و متأنياً يشبه تنهيدة، أجابت وقد ارتجفت شفتاها و صوتها:

- بصراحة.. كنتُ في البيت و لم اشاء التحدث معك.. ببساطة لأنني كنت أمر بظروف صعبة للغاية و اليوم طلبت مقابلتك كي اقضي معك وقتاً جميلاً، بعيداً عن كل شيء عشته في الايام الماضية، هل هذا ممكن؟

برغم البركان الذي كان يغلي في داخله، إلا أن أمين ليس من النوع الذي يحب الأخذ و الرد كثيراً، سألها بعد برهة:

- ممكن، هل تناولتِ الفطور؟

- لا، جئتُ لكي اتناوله معك..

- خيراً فعلتِ.

قال ذلك و اشار بإصبعة للنادل كي يحضر لهم الفطور، انقضت فترة الفطور بأجواء هادئة خالية من أية استفسارات من قبل أمين، حيث تحدث معها بأمور كثيرة، من ضمنها نيته في تغيير مسار عمله في المجلة و العودة إلى التصوير و الكتابة بعيداً عن السياسة و عالمها المريب، كان بذلك يحاول اخراجها من حالة الكتمان التي تستولي عليها منذ فترة، لكنها كانت تصغي إليه بصمت دون أن تعلّق على كلامه بكلمة، ترتسم على وجهها ابتسامة حزينة، توقف عن الحديث للحظة متسائلاً:

- هل ستستمرين بالتحديق بي و يستمر صمتكِ طويلاً؟!

اجابت بنبرة اخاذة :

- أحب التحديق بحبيبي و الإستماع إلى صوته.. هل لديك مانع؟
- لا ليس لدي مانع.. لكنني اشتقتُ إلى صوتكِ أيضاً.. تكلمي معي.. اخبريني عما يدور في ذهنكِ.
- لا شيء في ذهني سواك.. أنت ولا أحد غيرك.
قرب رأسه منها، اخذ يمسك يديها بين يديه قائلاً: سارة فلنتزوج.
تسائلت:
- أتظن أن الوقت مناسباً؟
أجاب:
- لخلق السعادة، كل الأوقات مناسبة.
قال ذلك و صار يقبل يداها و يرجوها بأن توافق على الزواج بحيث أحست سارة بالارتعاش في جميع اوصالها و تملكتها الرغبة في الاستسلام لاحاسيسها و الإستماع إلى ما يقوله قلبها و عدم الرضوخ لما يملي عليها عقلها، لكن عندما تصورت ردة فعل أمين و عائلته بعدما يعلمون بقصة هرب والديها و نظرتهم لها التي مما لا شك فيه ستتغير، كان هيناً عليها أن تتخلى عنه بدلاً من أن يتخلى عنها...
سحبت يديها من بين يديه، تسائلت بغصة شديدة:
- تعرف ماذا اتمنى؟
هز رأسه طالباً منها أن تجيب على سؤالها، اخذت نفساً عميقاً و أجابت حيث كان صوتها حزيناً جداً:
- أتمنى أن أعود طفلة بيتي مقابل بيتك و كلما احتجت إلى رؤيتك، فتحت الباب و رأيتك امامي...
سكتت ثانية وقد بدا على ملامحها التأثر الشديد، إذ لم يكن بإمكانها التفوه بكلمة اخرى و كانت تبحث عن المفر من ذلك الموقف الصعب الذي تمر فيه، فجاء النادل لنجدتها حيث سألهما إن كانا يريدان شيئا آخر فاستغلت سارة الفرصة متحججةً بغسل يديها.

الحياة عبارة عن تضحيات، إما أن تضحي بنفسك لأجل غيرك او تضحي بغيرك لأجل نفسك.
لكن سارة كانت تائهة بين الاثنين فهي الخاسرة في كلا الحالتين.

ركن السيارة امام المبنى ذو الخمس طوابق، اخفض صوت الراديو، نظر إليها حيث كانت تستعد لمغادرة السيارة متسائلاً:
- متى سنلتقي مجدداً؟
ردت بنبرة مترددة:
- العلم عند الله..
بدا لها متضايقاً، أحست ذلك من خلال حاجبيه التي رفعها استغراباً، فتسائلت:
- أليس العلم عند الله؟
تنهد قائلاً:
- بلى، ولكن نبرتكِ كانت مقلقة، تُشعريني بأننا لن نلتقي بعد اليوم..
إلتزمت الصمت لثوان محاولة منها أن تستجمع أفكارها، فقالت بصوت متردد بعض الشيء:
- أمين أود أن اطلب منك طلب او بالاحرى هو رجاء..
- أسمعكِ..
برغم الشجاعة التي كانت تتحلى بها في اي ظرف من ظروف الحياة التي مرت بها مسبقاً، إلى إن خوفاً غريباً عشش في داخلها و جعلها تحسب ألف حساب قبل التفوه بأي كلمة، خشية أن يُفتضح أمر والديها، فتخسر حب أمين.
فسكتت و عندما طال صمتها تسائل أمين حائراً:
- ألهذهِ الدرجة طلبكِ صعب؟

ردت:
- بل ليس مهماً..
ظل أمين يحدق بها بإستغراب و شيئاً فشيئاً تحول الإستغراب إلى غضب ف تمتم قائلاً:
- انكِ تنوين قتلي، أليس كذلك!
- ما هذا الذي تقوله؟
- اذن بماذا تفسرين صمتكِ و شرودكِ الدائم ها ! بالنسبة لي ليس لهما سوى تفسير واحد وهو انكِ تفكرين في انهاء هذهِ العلاقة..
لكن ما كانت تفكر به سارة هو انهاء ذلك اللقاء قبل أن تنهار ،فقالت بكثير من الحزن:
- أمين، لا تبحث عن تفسير لما يحدث معي، فكل شيء سيتضح مع الوقت، اما الان فعلي الذهاب قبل أن تتهمني بأمور اخرى..
قالت ذلك و غادرت السيارة بدموع منهمرة، فسبقها إلى باب العمارة و منعها من الدخول راجياً إياها بالبقاء قائلاً:
- ارجوكِ سارة لا تذهبي قبل أن تطمئني قلبي، أنا قلق عليكِ، لماذا لا تفهمين ما اقول؟
تأملته للحظات، كانت ملامح وجهه منهكة جداً و كان صدره يعلو و يهبط من شدة الانفعال و التأثر...
وضعت كفها على مكان قلبه، ابتسمت هامسةً:
- اهدأ، لا داعي لكل هذا، أرجوك، لأجلي إبقى هادئاً و رصيناً كما عهدتك.
ثم ألقت نظرة من حولها، كان الشارع فارغاً، اغتنمت الفرصة، حضنته بقوة وهي تردد على مسامعه عبارات الحب...

عندما وصلت البيت استقبلتها والدتها عند الباب قائلةً:
- ظننتكِ غيرتي رأيكِ و لن تأتي معنا..
ردت ساخرةً بصوت مبحوح:
- لستُ بتلك الشجاعة كي اتخذ قراراً كهذا..
سارت نحو الشباك و بعدما تأكد لها أن سيارته غادرت المكان، أزاحت الستار و رددت بغصة شديدة:
- الان صار بإمكاننا المغادرة.
غادرا والديها البيت يجران خلفهما حقائبهما، ظلت سارة تطالع زوايا البيت بحزن كبير حيث كان صعباً عليها ترك ذكرياتها بتلك الطريقة.

الحياة عبارة عن احداث متوقعة و غير متوقعة و ما كانت تعيشه سارة، مزيج بين الحالتين.

انزلت صورة تجمعها بأمين عن الحائط و تسائلت وهي تحدق بالصورة:
" ترى أكان سهلاً علي الرحيل لو لم تكن في حياتي؟ "

بعد مرور يومين

الشعب عندما ينتفض يتسبب بفوضى من الممكن احتوائها بطرق متعددة، لكن فوضى المشاعر من الصعب احتوائها.

بعد يومين من الاتصالات الهاتفية المتكررة الغير مجدية، قرر أمين أن يضع حداً لجميع التساؤلات التي تدور في ذهنه بالتحدث مع خالته و زوجها مباشرةً بشأن الحالة التي تمر بها ابنتهم في الأونة الاخيرة..

تأنى قليلاً قبل أن يطرق الباب مستجمعاً افكاره و اذا بصوت أنثى يناديه:
- السيد أمين؟
أدار رأسه نحو الصوت، اثارت انتباهه فتاة تقف بجانب باب بيتها، تشير له بيدها طالبة منه الانتظار لدقيقة، بعد دقيقة من الزمن عادت الفتاة تحمل بيدها ظرف، ألقت التحية عليه قائلة بإستحياء:
- مرحبا.. المعذرة.. سارة طلبت أن أعطيك هذهِ الرسالة، قبل سفرهما بأسبوع.. تفضل.
استلم أمين الظرف بذهول، كان يتوقع اي شيء غير أن تتخلى عنه سارة بتلك الطريقة، عاد إلى سيارته بيده الظرف، متخوفاً من فتحه و قراءة ما يحتويه...

" حبيبي أمين، ليتني مت و لم أشهد هذهِ اللحظات التي أخط لك فيها هذهِ الرسالة.. كيف يمكن للمرء أن تتحول أحلامه إلى كوابيس دفعة واحدة؟
و أولهم حلم الوصول إليك...
في آخر لقاء جمعنا كنت اود أن اطلب منك طلب او هو بمثابة رجاء، لكني لم استطع، لذلك سوف اقول ما لم استطع قوله في ذلك اليوم...
في الفترة التي مضت حدث الكثير و أنت كعادتك كنت بجانبي و تحملت الكثير و هذا الشيء أثبت لي انك ستبقى الرجل الذي لن يأتي بعده في حياتي..
لذلك طلبي او رجائي الوحيد هو أن تستمر في حبك لي و مهما حدث و مهما عرفت من امور في الايام القادمة، أن تبحث عن ألف سبب و سبب لإستمرار هذا الحب، لانني ضحية و ليس لي ذنب في اي شيء.

بعد ساعات

كان الهاتف يرن دون توقف، ركضت السيدة ريما و ردت و هي تلتقط أنفاسها:
- مرحبا.. نحن بخير.. ماذا؟ أمين؟ لا لم يعد بعد.. هل حدث شيء؟
في تلك الاثناء دخل أمين المنزل، فنادته امه:
- بني تعال والدك يود التحدث اليك.
إلتقط أمين سماعة الهاتف من يدها و ارتمى على الاريكة بتثاقل، ذهبت والدته اإلى المطبخ و عادت بعد دقائق قليلة حيث كان ابنها قد انتهى من المكالمة، فجلست إلى جانبه متسائلة:
- ما الامر يا بني؟
تطلع بوالدته للحظات و إبتسامة حزينة تزين ملامح وجهه المتعب، لمس تجاعيد وجهها بطرف اصبعه و استرسل قائلاً:
- كلما اردت أن اتخيل سارة كيف ستكون عندما تصبح في عمركِ، تتجسدين انتِ في ذهني. كانت تقول لي لا تتأمل كثيراً لعلني لن اصبح بجمال خالتي عندما اكبر.
ثم هز رأسه بتأسف و أردف بغصة:
- لقد حرمتنا الحياة من حلم أن نشيخ معاً.
ثم اخرج رسالة سارة من جيب سترته قائلاً:
- لقد تركت لي هذهِ الرسالة و مثلها ايضا وصلت لأبي من قبل والدها، يخبره بأنهم تركوا البلد بلا عودة.

الفصل السادس

قد يسألونكِ

كيف مات الحب؟
قولي:
جاء في زمن حزين!
" فاروق جويدة "

استيقظت سوزان على صوت حركة في غرفة نومها، أزاحت الغطاء عن رأسها و رأت زوجها جمال مندمجاً مع نفسه أمام المرآة، استوت جالسة على سريرها و قالت بصوت مبحوح:
- صباح الخير، أليس اليوم الجمعة؟
استدار جمال صوبها يلف حول عنقة شال باللون الاخضر، جلس قربها مبتهجاً:
- صباح النور حبيبتي، بلى اليوم جمعة، لكن زوجكِ عُين مسؤول على أحد اللجان الانتخابية، لذلك يجب أن نفعل كل ما بوسعنا لكي ينجح مرشحنا .
نظرت إليه بصمت، كان شعوراً بالإحباط و العجز و عدم القدرة على التكيف مع الحياة الجديدة التي صنعتها لنفسها، يسيطر عليها بشدة.
عندما طال صمتها حدق جمال بعينيها المنتفختين و قال معاتباً:
- لمَ كل هذا؟
أجابت بغصة شديدة:
- أنا أفتقد أهلي كثيراً و صرت أفتقدك أنت أيضاً، أنا أشعر بالوحدة يا جمال و اشعر بفراغ شديد لا أدري كيف أملئه.
- ألم أطلب منكِ أن تجلسي مع خالتي في غيابي، لماذا تفضلين البقاء وحدكِ؟
ردت ساخرة:
- أنا تزوجتك أنت و لم أتزوج خالتك.
أطلق ضحكة سريعة ثم قال:
- انتِ تصعبين الامر علي و عليكِ، في النهاية هذهِ الايام ستنتهي و سنعود كما كنا، فقط اصبري قليلاً، اعدكِ أن أيامنا القادمة ستكون اجمل.
- اتمنى ذلك.
قالت ذلك و عادت تستلقي على سريرها.
نهض جمال متسائلاً بجدية:
- ما رأيكِ أن تأتي معي؟
ردت:
- هذهِ الأمور لا تستهويني.
- ما نفعله ليس هواية يا عزيزتي بل هو هدف نسعى للوصول اليه.
قالت غير مكترثة:
- حسناً اذهب قبل أن تتأخر على هدفك.
و دفنت رأسها تحت الوسادة، ظل جمال يطالعها حائراً كيف يرضيها، ناداها لمرة و مرتين لكنها لم تهتم، فعاد يجلس على السرير، أزاح الوسادة جانباً، نظرت إليه بصمت، مرر أصابعه بين خصلات شعرها بهدوء و قال:
- سوزان لا تنسي انني احبكِ، و كل ما افعله لأجل مستقبلنا، ارجوكِ أن تتفهمي ذلك، اراكِ على خير.
طبع قبلة على خدها و غادر دون أن يعطيها فرصة التعبير عما بداخلها.

كانت الايام تمر ببطء شديد على سوزان التي أصبحت لا ترى فيها جمال إلاّ لساعة او ساعتين في اليوم

حيث كان منشغلاً بين عمله صباحاً و بين الحملات و الدعايات الانتخابية التي كلف بها ليلاً.
تلك الايام التي كانت البلد منقسمة إلى قسمين و هذا الانقسام سبب حالة من الترقب لدى الجميع.

بعد أيام...

كانت سوزان تغط في نوم عميق و استقيظت مفزوعة على صوت هتاف زوجها و هو يصيح فزنا فزنا.
أشعلت المصباح الذي كان بجانبها و بصعوبة استطاعت أن تميز كم كانت الساعة و دمدمت:
- منذ متى يعلنون نتيجة الانتخابات في هذهِ الساعة المتأخرة!
نهضت واقفة أمام باب الغرفة تطالع زوجها حيث كان يتكلم بالهاتف و بعد لحظات جاء مسرعاً يحتضنها و هو في شدة سعادته، فألقت نظرة على التلفاز المغلق و تسائلت بتعجب:
- عجباً! عادةً التلفزيون يعلن النتيجة في صباح اليوم التالي للإنتخابات و ليس ليلتها!
فقال جمال بتفاخر:
- لسنا بحاجة إلى التلفزيون، فالنتيجة محسومة يا عزيزتي.
رن هاتفه مرة أخرى، رد عليه و خرج من البيت مجدداً.
ظلت سوزان تطالع لحظة مغادرة زوجها بحزن و غصة و سؤال واحد يجول في رأسها:
- هل هذا هو الرجل الذي تحديت الجميع لأجله؟
لكن فرحة جمال لم تكتمل و كانت مشوهة الملامح، حيث جائت بعدها ايام اختلط فيها الحابل بالنابل، ايام صعبة سطرها التاريخ بأشكال مختلفة.

البعض يبحث عن الحرية.
و البعض الآخر يصنعها.
و هنالك من يتخيلها فقط...

في اليوم التالي

كانت سوزان تعد الغداء في المطبخ و عينها على زوجها الذي كان متسمراً أمام شاشة التلفاز يشاهد المؤتمر الصحفي الخاص بالرئيس الجديد، بيده جهاز التحكم يضرب به على رجله بتوتر و اضطراب شديد.
جلست بجانبه، اخذت جهاز التحكم من يده بهدوء و اطفأت التلفاز قائلة:
- جمال، ما رأيك أن نخرج لنغير الجو؟
اجاب على سؤالها بسؤال محدقاً في فراغ:
- ما الأجواء التي تريدين تغييرها في هذهِ الأوضاع؟
سكتت للحظة ثم قالت:
- جمال لقد انتهى كل شيء و الوعود التي تحلم بها، تلاشت، استيقظ.
تطلع بها بحدة و قال بعصبية واضحة و بشيء من التشنج:
- شكراً على النصحية، أنا مستيقظ، فمن مثلي لا يحق له أن يحلم لكي تتحقق احلامه يوماً. لكنني لن اسكت عن حقي.
- عن أي حق تتكلم! أنت أمام دولة و قانون و أمر قد تم.
رن الهاتف، رفع جمال السماعة و المكالمة لم تأخذ منه إلا دقيقة و بسرعة شديدة غير ملابسه مغادراً، اعترضت سوزان طريقه ترجوه:

- جمال، أرجوك أن لا تذهب، الأوضاع خطرة و اخشى أن تتورط لسبب او بلا سبب.
ضمها إليه بقوة، أحست كأنه يودعها حيث ردد بحزن كبير:
- لن اتأخر عليكِ كثيراً هذهِ المرة.

بعد عدة ايام

كانت سوزان جالسة تنتظر الخالة فرح لكي تذهبا للبحث عن زوجها بعد غيابه عن البيت لأكثر من اسبوع و انقطاع أخباره بالمرة .
رفعت رأسها، رأت وجهها الشاحب و الحزين في المرآة للحظة و سرعان ما اطرقت رأسها ارضاً.
اصبحت تكره النظر في المرآة فتتذكر كيف كانت و كيف أصبحت.

بعد ساعات

ألقت نظرة خاطفة على الخالة التي كانت عاقدة يديها أمام صدرها بشيء من التوتر، ثم عادت بالنظر إلى الضابط الذي كان يجري اتصالاً و قالت بصوت يرتعش:
- أرجوك يا حضرة الضابط أن تخبرني اين زوجي؟
فرد عليها الضابط بنبرة مطمئنة:
- صبراً.
و بدأ يتحدث على الهاتف بصوت خافت، إذ كانت بينهما مسافة تجعل من الصعب عليها فهم ما يقال، فلم يكن أمامها حل سوى الإنتظار و لحسن حظها هذهِ المرة انتظارها لم يطول كثيراً و أنهى الضابط المكالمة بعد اقل من دقيقة.
وضع يديه على سطح المكتب و قال دفعة واحدة:
- لقد تم اعتقال زوجكِ قبل أيام بتهمة القيام بأعمال تخريبية وهو الآن في الحبس ينتظر الحكم الذي سوف يصدر ضده عما قريب.
لم يصدمها الخبر و هذا ما كانت تخشاه بالضبط، انحدرت دمعةً على خدها ببطىء قامت بمسحها بسرعة و قالت بغصة شديدة:
- حضرة الضابط، ارجوك أن تسمح لي بزيارته.

بعد ساعة كاملة...

دخلت غرفة صغيرة مربعة الشكل، ذات حوائط رمادية و أرضية بيضاء، دارت ببصرها في الغرفة لم يكن فيها سوى نافذة صغيرة و كرسيين، الاول يجلس عليه جمال مطأطأ الرأس يرتدي رداء أزرق و مخطط بالأسود، و الكرسي الثاني ينتظرها لكي تأخذ مكانها عليه.
تقدمت بخطوات بطيئة، وقفت أمامه، و وضعت يدها على رأسه تداعبه بحنان دون أن تتفوه بكلمة واحدة .
طوقها جمال بذراعيه و انتحب باكياً، يردد بحرقة:
- سوزان، سامحيني، لم أفي بوعدي لكِ و تركتكِ وحيدة، سامحيني.
عادت إلى بيتها وحيدة تسير على الاقدام تشاهد الفوضى التي كانت تعم بالبلد.
رغم اصرار الخالة على أن تبقى بجانبها إلى انها فضلت البقاء وحدها.
فوحدتها لم تكن وليدة الساعة بل ولدت معها في اليوم الذي قررت فيه أن ترتبط بجمال، ذلك الرجل الذي

ظنت بأنه سوف يعوضها عن غياب اهلها، لكنها اكتشفت خطأها بشكل متأخر.
فلا يمكن تعويض احد بوجود شخص او اشخاص آخرين، فلكل مكانته التي لا تعوّض.

## الفصل السابع

حَاول أن تُحب احزَانَك
لَعلَّهَا ترحَلُ كمَا يَرحَلُ كُل شَئ نُحبه...
" انيس منصور "

بعد مرور خمسة سنوات

صوت الموسيقى الصاخب و الاجواء المكتظة بالناس أصبحت تُشعره بالتوتر و الملل في آن واحد.
دار ببصرة في زوايا المكان، الجميع في حالة نشوة و سرور بعيدة كل البعد عما كان يشعر فيه و تسائل في قرارة نفسه:
- ما الذي جاء بي إلى هنا؟
لكنه يعي جيداً لولا اصرار والدته لما خطت قدماه هذا المكان، حيث أصبح في الآونة الاخيرة يفضّل البقاء بمفرده على المشاركة في مناسبات، كتلك المناسبة التي كان يشارك فيها، ألا وهي حفل زواج عمة والدته التي كان زواجها الثالث و كان أمراً غريباً و مضحكاً بالنسبة له، أن تقيم حفلاً للمرة الثالثة و كأنها تتزوج للمرة الاولى.
حيث كان يقام الحفل في مكان مفتوح او بالأحرى في مزرعة كبيرة بعض الشيء، ورثتها العروس عن زوجها الثاني.
أحس بألم و صداع غريب في رأسه، صار يفرك جبينه بطرف اصبعه، إلتفت برأسه يمنة و يسرة بحثاً عن والدته و عندما لم يجدها نهض عن الطاولة مغادراً المكان.
عندما ابتعد مسافة لا بأس بها عن المزرعة، احس بالهدوء ينفذ إلى روحه، ألقى نظرة على ساعة يده، كانت العاشرة مساءً، رفع رأسه يطالع السماء حيث كانت مكتظة بالغيوم السوداء، اتكأ بجسمه على شجرة، اخرج علبة السجائر و صار يدخن بإستمتاع، هذهِ هي الحالة التي بات معتاداً عليها مذ هجرته سارة، الوحدة و التدخين.
بعد دقائق اتصلت به والدته تسأل عنه، اخبرها بمكانه و عندما احس بقدومها رمى بالسيجارة بسرعة و قام بدهسها تحت قدمه، حفاظاً على مشاعر أمه التي كانت تمقت رؤيته وهو يدخن، تقدمت نحوه بخطوات بطيئة اذ كانت ترتدي فستان اسود لامع و طويل، رافعة شعرها على شكل وردة من الخلف و تضع عقد كبير غطى فتحة صدرها، وقفت أمامه تزين وجهها ابتسامة مضطربة:
- بني لماذا تقف هنا؟
وضع هاتفه في جيب سترته، رد ببرود:
- أمي انا افكر بالعودة، هل تأتين معي؟
تنهدت متسائلة:
- أمين ألم نتفق أن نقضي الليلة هنا، كيف نعود و العرس لازال في بدايته؟
- تعرفين جيداً لولا إصرارك لما اتيت من البداية، و الان دعيني اذهب و ابقي انتِ هنا..
كانت تعرف جيدا إنها مهما حاولت معه لن يتغير رأيه في المغادرة، لكنها قالت في نفسها لا بأس إن جربت

حظي معه هذهِ المرة، فقالت بود:
- حبيبي تتذكر سرور التي كلمتك عنها مسبقاً ؟ بنت عمتي، هي قادمة من أمريكا لكي تحضر عرس أمها، لكن طائرتها تأخرت و ستصل بعد ساعة أو ساعتين، اريدك أن تتعرف عليها، لعل و عسى...
قاطعها:
- ارجوكِ يا امي لا تتعبي نفسكِ و تتعبينني فأنا لن اتزوج بهذه الطريقة.
اقتربت منه ترد بشيء من العصبية:
- اذاً ماذا عن طريقتك.. ها.. اخبرني.. متى تستخدمها.. خمسة سنوات و أنا أنتظر...
سكتت للحظة و أردفت:
- متى تقتلعها من حياتك.. انظر إلى وجهي.. انا فعلت كل هذا لمن؟
كانت تقصد عمليات التجميل التي أجرتها لوجهها، ليس لكي تصبح اجمل، بل لكي تتغير ملامحها ولا يعود يتذكر سارة كلما نظر اليها.
حدق بأمه للحظات و قد علت وجهه مسحة من الحزن، ابتعد عنها، قطف ورقة من الشجرة بحرص، قال و هو يوليها ظهره:
- لماذا اعتقدتي انني سأنساها لمجرد أني لن أرى ملامحها فيكي؟ كيف انساها؟ سارة مازالت بالنسبة لي الحلم الذي سوف يتحقق يوماً ما.. في هذهِ الدنيا، او...
كلامه عنها تسبب بتهييج مشاعره التي لطالما حرص على اخفاؤها أمام والدته، عاد بالنظر إلى والدته تمتم بغصة:
- اشتقتُ.. اشتقتُ اليها يا أمي.
جلس بتثاقل على الارض، يتكأ بظهره على الشجرة، دفن رأسه بين ساقيه اللتين صار يضمهما بين ذراعيه بقوة و انتحب باكياً، احست السيدة ريما بالندم يجتاحها بسبب الحالة التي وصل اليها إبنها و كانت تلوم نفسها على ذلك، ضمته إلى صدرها و صارت تبكي معه و تردد:
- أرجوك بني، سامحني، أرجوك.. بعد والدك، لم يبقى لي أحد سواك... أرجوك كن متماسكاً كما عهدتك. لا أتحمل رؤيتك منكسراً هكذا.. أمين..
رفعت رأسه بيديها حيث كانتا ترتعشان من شدة الانفعال، مسحت الدموع عن وجهه بطرف أصابعها، مسدت شعره الذي اكتسى بالشيب، و ابتسمت قائلة:
- كن بخير، لأجلي أنا كن بخير.
طالعها للحظة، اخذ نفساً بعمق، طبع قبلة على جبينها و قال حيث كان يبدو أكثر هدوءاً:
- أنا بخير يا أمي.
نهض ينفض الغبار عن ملابسه، مد يده لها يمازحها قائلاً:
- اعطيني يدكِ ايتها الجميلة ذات الملابس المتسخة بالتراب.
و صارا يضحكان، كأن شيئا لم يكن.

رفعت رأسها تطالع السماء المكتظة بالغيوم و صارت تبكي، لم يمض إلا دقائق و قطرات خفيفة سقطت على وجهها، فأختلطت دموعها بالمطر.
رددت مع نفسها و هي على تلك الحالة و يدها تلامس السلسال الذي كان يحمل اسم والدتها حيث اهدتها اياه في آخر زيارة إذ لم تحظى برؤيتها:
- امي ليتكِ لم تشجيعيني على قراري الذي وقف الجميع فيه ضدي، ليتكِ أخبرتني بأنني أحارب لأجل لا شيء! فأنا يا أمي خسرت كل شيء من أجل لا شيء... خسرت الماضي و الحاضر معاً...و أما المستقبل، فلا أعلم بأي هيئة سيكون.

انتظرته خمسة سنوات لكي يأتي و يعوضني عن الوحدة التي عشتها من بعده، فعاد و زادني حزن و وحدة.
لقد تغير يا أمي و كأنني لم أعرفه يوماً، لقد صنع السجن منه رجل يائس، أناني لا يفكر سوى بنفسه... أنا متعبة يا أمي، فمتى ارتاح!
صوت حنون اخرجها من قوقعة افكارها، رأت أمامها رجل كبير في السن، يرتدي معطف اسود طويل، يتكأ على عكازه، جلس بجانبها على ناصية الشارع، قال و الابتسامة لا تفارق شفتاه:
- الجو جميل.. صحيح.. لكن.. الساعة الواحدة ليلاً يا ابنتي.
ظلت تتطلع إليه بصمت، قال وهو يطالع حركة السيارات التي كانت تمر من أمامهما مسرعة:
- بالامس كان عرس ابنتي، لم أكن راضياً عن هذا الزواج، لأنني كنتُ ارى أن الشاب لا يناسبها، لكنها كانت تحبه كثيراً. ظننت أن رفضي سوف يجعلها تنساه، ابنتي كانت شعلة من النشاط و الحيوية، رأيتها تذبل أمامي، فقلت لنفسي هل هذا ما تريده ؟ وافقت على زواجها و البارحة عندما رأيتها بثوب الزفاف بجانب الرجل الذي اختارته حيث كانت في قمة سعادتها، شكرت الله أنني لم اظلمها و اظلم نفسي في رؤية تلك اللحظات الجميلة..
سكت للحظة أردف بعدها متسائلًا:
- الحب جميل أليس كذلك؟
نهضت وهي تجيب على سؤاله بغصة شديدة:
- الحب جميل، لكننا شوهناه!
و سارت مغادرة، فناداها:
- ما اسمكِ يا فتاة؟
التفتت برأسها، ابتسمت هامسة:
- سوزان...

## الفصل الثامن

ليس هناك ماهو أشد مأساوية من ملاقاة شخص يتخبط من العجز، ضائع في متاهة الحياة.
" مارتن لوثر كينغ "

الساعة الواحدة و النصف بعد منتصف الليل، السماء تمطر بغزارة، كان عدد من السيارات على الغير العادة تصطف بإنتظام، بإنتظار إشارة المرور، من ضمنهم كانت سيارة أمين حيث كان منشغلاً بالحديث مع والدته عبر المحمول، يخبرها بأنه سوف يصل إلى البيت بعد أقل من ربع ساعة، بعدما انهى مكالمته مع والدته، احس بأنه بحاجة إلى سماع صوتها، صار ينقر بإصبعه على هاتفه بحثاً عن ملف تسجيل صوتها بين الملفات..
وجدها اخيراً.
رسالة صوتيه وصلته عبر ايميل مجهول بعد سفرها بسنتين و تم إغلاق الايميل بعد وصول الرسالة بساعتين، فقام أمين بنسخ الملف إلى هاتفه و صار يستمع إلى صوتها كلما اشتاق اليها.
اسند رأسه للخلف، اغمض عينيه متناسياً كل شيء يدور حوله، حيث صار يصغي إلى صوتها و ابتسامة حالمة تزين شفتاه.
كانت نبرة صوتها هادئة وهي تردد الكلمات:
" بما أني لا اعرف في أي وقت سوف تسمع هذهِ الرسالة، سوف ابدأ كلامي هكذا، صباحك و مسائك بخير

يا من كنت و مازلت و ستبقى حبيبي.
أتحدث إليك و أنا أجلس في غرفتي بجانب النافذة المفتوحة على مصراعيها، السماء هنا دائما ما تكون غائمة لكنها لا تمطر و الاجواء هنا في الشتاء دافئة و صيفها بارد، الناس هنا نادراً ما أرى الابتسامة على وجوههم، برغم جمال المدينة شكلاً و مضموناً، إلا إن ناسها ليسوا سعداء، هذا ما أحس به كلما مررت بأحدهم، مضت سنتين و لم أجد بعد.... "

صوت أبواق السيارات المتواصلة أعادته إلى أرض الواقع، فأدار محرك السيارة بإنشداه و سرعة جعلته يفقد توازنه إذ اخذت سيارته منحنى آخر و سوء الاجواء جعلت الرؤيا مستحيلة فإذا بالسيارة ترتطم بشيء ما، لم يكن يرى شيئاً، كانت الاصوات ترن في ذهنه:
" اطلبوا الإسعاف، إنها امرأة، لقد دهستها السيارة..."

الساعة السادسة صباحاً...
- يا سيد.. استقيظ.. عادت مريضتك إلى وعيها.. استقيظ.. الطبيب يود التحدث اليك..

بعد نصف ساعة

كانت مستلقية على السرير عندما رأته يدخل الغرفة، استوت جالسة و رتبت حجابها و خصلات شعرها المبعثرة على وجهها، اخذ كرسي و جلس بالقرب من سريرها و بدأ كلامه قائلاً:
- حمداً لله على سلامتكِ.. كيف حالكِ الان؟
- بخير..
كذلك اجابت وهي تلعب بأصابع يديها بتوتر ملحوظ.
تفحصها بنظراته حيث كانت مطرقة رأسها، امرأة في أواسط العشرينات، ذات وجه دائري و بشرة بيضاء، و خصلات شعرها الأسود المنسدلة على كتفها من تحت شالها البني الذي تضعه على رأسها .
- أتعلمين من أنا؟
قال ذلك محاولة منه لجذب إنتباهها.
رفعت رأسها اخيراً تسأل:
- من؟
التقت عيناها الواسعتين المتناسقتين مع حاجبيها المرسومين بإتقان و دقة، اعطت لوجهها سحر خاص، التقت بعينيه فردد بصوت منخفض:
- ما شاء الله، سبحان الخالق...
ادارت رأسها باستحياء للناحية الاخرى . قال وهو يهم بالنهوض لكي يفتح شباك الغرفة:
- أنا صاحب السيارة التي قمتي بدفع نفسكِ أمامها...
ابتعد عن الشباك و وقف أمام سريرها مستفسراً:
- هل كنتِ تنوين الإنتحار؟
تطلعت إليه بصمت و حالة من الحزن خيمت عليها.
جلس على طرف السرير، قرب رأسه منها و هو يسأل بصوت هادئ:
- من أنتِ و ماذا كنتِ تفعلين بذلك الوقت المتأخر و في تلك الأجواء؟ تكلمي أرجوكِ، لا تخافي، انا هنا لكي اساعدكِ، على فكرة نحنُ لن ندخل الشرطة في الأمر، لذلك لا تخشي شيئاً و تكلمي..
تطلعت إليه بتردد وهي تستكشف ملامح هذا الانسان الذي وضعه القدر في طريقها، رجل في اواخر الثلاثينيات من عمره، يرتدي كنزه شتوية سوداء و بنطلون جينز باللون الأسود كذلك، ذو شعر مبعثر

اكتساه الشيب و ذقن خفيف، لكن اكثر شيء لفت انتباهها فيه هو ملامح وجهه المتعبة و صوته الحزين و الحنون الذي زادها ثقة فيه و في الإفصاح عما كانت تخشاه، أطرقت رأسها مجدداً، غمغمت:
- أنا لا أتذكر شيئاً...
ظل أمين يطالعها للحظة مصدوماً، ثم صار يفكر بصوت عال:
- كيف يمكن ذلك! الطبيب اخبرني انها لا تشتكي من شيء و لم تتعرض للأذى..
تنهد متاسئلاً:
- لا تتذكرين أي شيء؟
هزت رأسها بالنفي:
- لا شيء .
خيم صمت ثقيل في الغرفة اخترقه صوت هاتفه، قال بعدما وضع الهاتف على الصامت:
- لعل اسمكِ ريحـ...
هزت رأسها بعدم استيعاب، اشار بأصبعه على السلسال الذي كان يظهر جزءاً منه من خلف الشال، لمسته قائلة بصوت يرتعش:
- ريحانه.
- اسم جميل.
قال ذلك وهو يخرج من الغرفة يخبرها بأنه سوف يتحدث مع الطبيب بشأن حالتها و اذا كان يمكنها مغادرة المشفى.
بعد مغادرته، التصقت عيناها بالسقف لبرهة تستمع إلى نبضات قلبها المضطربة، أحست بأن خطواتها بدأت تأخدها لطريق تخشى أن تعرف نهايته.
لمست السلسال مجدداً، رددت مع نفسها وهي تضع رأسها على الوسادة:
- حسناً.. يبدو إن الحياة لم ترضا لي بتلك النهاية التي كنتُ أسعى إليها.. لا بأس.. من الآن سوف اكون ريحانه، لعل اسمكِ يا امي يجلب لي الحظ اكثر من اسمي الذي اخترته لي.. سوزان.. سوف اشتاق اليك.

لماذا يجب أن يكون لكل شيء وجهان؟
حقيقي و مزيف..
لماذا لا نكتشف الوجه الحقيقي إلا بعدما ننخدع بظاهره المزيف !

- بمَ تفكرين؟
اخرجها صوته من قوقعة أفكارها، اجابت على سؤاله بسؤال:
- سوف تأخذني إلى بيتك؟
رد هو على السؤال بسؤال كذلك:
- ألستِ جائعة؟
- بلى، قليلاً..
- أنا أيضاً جائع، كثيراً..
خفف من سرعة السيارة، ثم دخل إلى منعطف مخصص لمتاجر الملابس، قال:
- بدايةً سوف نذهب للتبضع، فأنتِ بحاجة إلى ملابس جديدة و حاجيات اخرى، بعدها سنذهب للمطعم لنأكل شيئاً، من ثم سوف أوصلك للبيت لكي اذهب أنا إلى عملي.. جيد؟
هزت رأسها تديره إلى النحو الاخر تسأل نفسها و عيناها تطالع الناس من خلف زجاج السيارة:
- لماذا تهربين و إلى متى تستمرين في الهرب ! في النهاية سوف يُفتضح امركِ، لحظتها كيف ستتصرفين؟ كيف؟

كانت واقفة تضم يديها إلى صدرها تطالع الملابس بلا رغبة، عندما ناداها قائلاً:
- هيا، ماذا تنتظرين؟ اختاري اية قطعة تعجبكِ، لكي ننتهي بسرعة، فأنا تأخرت على عملي..
اعلنت بنظرة جافة:
- أنا لم اطلب شيئاً..
مرت من امامه مبتعدة و قد بدا على ملامحها الإنزعاج، اعترض طريقها:
- لحظة.. إلى اين؟
كانت تتحاشى النظر اليه محاولة منها لإخفاء انزعاجها:
- أرجوك خذني لحيث تسكن، أنا لا أريد أن اعطلك عن عملك.
ثم ألقت نظرة على المحل الذي كان شبه خال من الزبائن في تلك الساعة و قالت:
- ثم انني لستُ في مزاج يسمح لي بالتبضع الآن.
- لا بأس.. انا سوف اقوم بهذه المهمة عنكِ.. جيد؟
رفعت حاجبيها استغراباً، غمز لها بطرف عينه و قال:
- لا تقلقي.. فأنا لدي خبرة في اختيار الملابس النسائية.. حبيبتي كانت تقول لي إن لي ذوق خاص في اختيار الملابس النسائية، و كانت تطلب مني أن اختار لها ملابسها.
- كانت؟!
تنهد بعمق، ردد وهو ينبش بين الملابس:
- افترقنا...

الفصل التاسع

لو رجعنا غداً
و اراد الزمان أن يرانا كما كنا
و التقينا
فهل ينبض الميتان؟
خلف الواح صدرينا...
" نازك الملائكة "

بعد ليلة ممطرة، كانت يومها السماء صافية و الشمس تشرق بنورها الساطع الذي كان يعطي بعضاً من الدفئ للأجواء.
بينما كان أمين يركن سيارته في موقف السيارات، كانت سوزان تستطلع بعينيها فناء البيت الذي كان مربع الشكل و مساحته متوسطة.
كان على يمينها بستان صغير يحتوي على انواع متنوعة من الزهور، و على يسارها طاولة ببضاء خشبية و حولها ثلاثة كراسي بنفس لون و شكل الطاولة، في تلك الأثناء لفتت انتباهها أرجوحة خشبية كانت مستقرة في زاوية بعيدة، اقتربت منها بخطوات بطيئة، لمست الارجوحة وهي تردد مع نفسها:
- بابا.. لا اصدق إنك انتهيت من حياتي و إنني خسرتك إلى الأبد.
اخذت مكانها على الارجوحة و صارت تتأرجح بعينين مغمضتين، ظلت على تلك الحالة لثوان، فجأة بدأت تبكي بصوت متقطع منخفض.
- هل انتِ بخير؟ لماذا تبكين؟

مسحت دموعها، اجابت لا ارادياً:
- تذكرت أبي...
- تذكرتي.. حقاً؟
تسائل أمين متفاجئاً، تطلعت اليه بإرتباك لا تعرف كيف تصلح ما أفسدته، لكن سرعان ما تداركت الأمر قائلة:
- صحيح نسيت أن اخبرك بإنني اتذكر الماضي جيداً.
- جيدا جداً، فإن الطبيب قال قد يكون فقدان الذاكرة عندكِ مؤقت و هذا مؤشر خير.
كانت تكره هذا الدور الذي تلعبه لكن لم يكن امامها حل سوى أن تتمادى في الدور لكي لا يُفتضح أمرها بهذه السرعة، ضمت يديها إلى صدرها مسترسلة:
- كان عيد ميلادي العاشر عندما أحضر لي أبي هدية عيد ميلادي، أرجوحة تشبه هذه الارجوحة بشكل كبير، كان فرِحاً بها اكثر مني.
همس قائلاً و قد علت وجهه مسحة من الحزن:
- انه لأمر في غاية الدهشة أن يُمسح الحاضر من ذاكرتكِ و يبقى الماضي بكل تفاصيله !
كأننا نعيش الحاضر لكي تكون في داخلنا رغبة دائمة و خفية للعودة إلى الماضي.
خيم صمت لم يتعدى الثوان بعدها قرر الإثنان الدخول إلى البيت، بمجرد أن وضعت سوزان قدميها داخل الصالة، ألقت نظرةً خاطفةً على المكان متسائلة:
- هل تعيش وحدك؟
أجاب من خلفها محملاً بالاكياس:
- لا.. أنا و أمي نعيش معاً.. هي مسافرة.. ستعود غداً او بعد غد بإذن الله.
دخل مباشرة إلى احدى الغرف، وضع الاكياس على السرير و قال:
- من الان فصاعداً ستكون هذهِ غرفتكِ.
ألقت بنظراتها على الغرفة وهي واقفة على عتبة الباب، كانت الغرفة صغيرة بعض الشيء، تحتوي على سرير صغير، و مرآة طويلة موضوعة على الحائط، إضافة إلى نافذة صغيرة تطل على فناء البيت، شكرته بإبتسامة، فقال أمين وهو يغادر الغرفة:
- حسناً.. علي الذهاب الآن.. اعتبري أن البيت بيتكِ و خذي راحتكِ، اراكِ على خير.
تطلعت سوزان به وهي تتسائل في سرها:
- معقول! تركني و ذهب بهذهِ البساطة! كيف وثق بي بهذهِ السرعة؟ ألا يخشى أن أسرق أشيائهم الثمينة و اهرب؟
فجائها الرد بأسرع ما كانت تتصور، حيث سمعت صوت المفاتيح التي تدل على إنه قام بإقفال باب المدخل عليها، فضحكت:
- لم يكن ساذجاً كما ظننتِ..

صباح اليوم التالي

كانت تقف امام المرآة ترتب شالها الأبيض، حيث نسقته مع فستان ازرق طويل يحتوي على حزام اسود ظريف عند الخصر، طالعت نفسها مطولاً تبتسم برضا، فقالت لنفسها:
حبيبتك السابقة كانت محقة، لديك ذوق جميل في اختيار الملابس النسائية حقاً.
بعدما انتهت من ترتيب نفسها و لحظة خروجها من الغرفة تناهى إلى مسامعها صوت امرأة يأتي من غرفة أمين، فكرت قليلاً بعدها تظاهرت بالمرور من أمام غرفته التي كان بابها مفتوحاً، لمحها و قام بمناداتها...
- صباح الخير..

عندما دخلت الغرفة كان قد اختفى الصوت و كان هو يجلس خلف مكتبه، كانت غرفته اكبر من غرفتها، و بها سرير اوسع، اشار لها بأن تجلس، جلست على كرسي خشبي لحظتها لفتت انتباهها صورة على المكتب، تسائلت:
- من تكون؟
اجاب همساً:
حبيبتي، سابقاً..
تسائلت بشيء من الدعابة:
- إن كانت كما تصفها حبيبتك سابقاً، فماذا تفعل صورتها هنا؟
ظل متفكراً لبضع ثوان بعدها ردد و عيناه ملتصقة بالصورة:
- القلب لا يهمه إن كان هذا الاحساس الذي في داخله ولد سابقاً او حالياً او حتى في المستقبل، المهم هو إنه ولد و السلام.. لكن إن سألتِ العقل، سيكون رده صادماً!
- و عقلك أنت ماذا يقول؟
طالعها لبرهة ثم اطلق تنهيدة عميقة و قال:
- عقلي يقول بأنه مرهق، مرهق لأبعد الحدود.
قربت رأسها من الصورة: هي جميلة جداً.
- كل شئ فيها جميل، ما رأيكِ أن تستمعي إلى صوتها؟
هزت رأسها ايجابا.

" مضت سنتين و لم اجد بعد ما يحثني على الحياة.. أحب ما أفعل و أفعل ما أحب.. لا شيء من ذلك.. ابي انضم إلى منظمة سياسية جديدة و امي طبعاً تحذو حذوه.. و انا خارج حساباتهم.. ليتني لم أطاوعهم بالرحيل.. أمين.. اشتاق اليك و إلى كل شيء كان يجمعنا معاً.. اتمنى أن تكون بخير و أن تتزوج و تنجب.. انت تستحق كلما هو جميل.. لا تحرم نفسك من شيء و عش الحياة، فلا شيء يستحق أن توقف حياتك من اجله.. لا شيء.. حتى سارة. "

صوتها الذي بدا هادئاً رصيناً في بداية التسجيل الصوتي، صار مختنقاً مرتعشاً حيث صارت تردد الكلمات بصعوبة في نهاية التسجيل...

تطلعت سوزان، بأمين الذي كانت نظراته تائهة في الفراغ، سألته عن حاله، نظر إليها بحزن كبير ثم نهض من مكانه، فتح شباك الغرفة، نفذت نسمات باردة غيرت جو الغرفة المشحون، ظل واقفاً أمام الشباك يوليها ظهره..
- إن كان الإستماع إلى صوتها يؤذيك هكذا، لماذا تؤذي نفسي بسماعه !
تنهد قائلاً:
- أنا قلق عليها، أخشى أن تفعل بنفسها شيء لا سمح الله..
- لا تقلق.. المرأة مهما كانت ضعيفة امام الحب، فهي قوية امام الفراق.
التفت نحوها، همس قائلاً بتعب:
- اتمنى ذلك حقاً.
ثم ألقى نظرة على ساعة يده و قال:
- حسناً.. يجب أن اذهب لكي احضر امي من المطار.
تسائلت حيث انتابتها حالة من التوتر:
- هل تعلم والدتك بوجودي هنا؟

ابتسم مطمئناً:
- اجل، و شكرتني لأنني لم اتخلى عنكِ.. اراكِ على خير.
سار مغادراً، نادته:
- اليوم ايضاً سوف تقفل الباب؟
استدار بجسده متسائلاً:
- و هل تصرفي هذا يضايقكِ؟
ارتبكت و ارتعش صوتها و بدا تفسير وجهة نظرها شاقاً عليها، فاخذت نفساً بطيئاً و قالت:
- لا، ولكنك تطلب مني أن اعتبر نفسي بأنني في بيتي.. فتقفل الباب و تذهب.. فتحسسني كأنني في سجن.. اكثر ما يضايقني هو عدم الإحساس بالثقة..
اقترب منها قال موضحاً وهو يحدق في عينيها التي كانت تتهرب منه:
- بدايةً اعتذر إن كنت ضايقتكِ، ولكن شيء واحد يدل على تصرفي ذلك، ألا وهو إنني كنت خائفاً عليكِ و كنت اخشى أن تخرجي من البيت و تضيعي طريق العودة.. هذا كل ما في الأمر.
قالت وهي تعود خطوتين إلى الوراء:
- حسناً، وضحت الصورة الآن.
شعر أمين بإرتباكها حيث كانت يداها ترتجف بوضوح، سألها:
- ريحانه.. هل انتِ بخير؟
هزت رأسها ايجاباً، فقال بعد برهة من الصمت:
- حسناً.. هذهِ المرة لن اقفل الباب، لكن عديني بأنكِ لن تخرجي من البيت لأي سبب من الأسباب.
- ليس لي مكان أذهب اليه..
ظل يطالعها للحظات، احساس غريب اصبح يتملكه مع الوقت، كان قلبه يخفق كلما اقترب منها و كلما تطلع في عينيها...
- سوف تتأخر على والدتك...
اخرجه صوتها من عالمه و غادر على الفور، بعدما تأكد لها أن أمين اصبح خارج المنزل، ألقت بنظراتها على الهاتف الموضوع على الطاولة، اقتربت بخطوات بطيئة، جلست على الكرسي، اخذت الهاتف و وضعته على حجرها، بعد قليل من التردد طلبت الرقم، لم تمر إلا ثوان قليل و صار صوت الخالة فرح يرن في أذنيها:
- الو.. الو.. سوزان هذهِ انتِ؟ الو.. ارجوكِ يا ابنتي إذا كنتِ انتِ، ردي علي.. سوزان.. ارجوكِ عودي يا ابنتي.. اعلم إن جمال اخطأ بحقكِ، لكنه نادم و يبحث عنكِ في كل مكان و لن يهدأ حتى يجدكِ.. سوزان.. لا تعاقبيه بهذهِ الطريقة.. الو.. هل تسمعينني؟
وضعت السماعة في مكانها، انحدرت دمعة على خدها و عادت بذاكرتها إلى الوراء، إلى اول يوم اطلق فيه سراح جمال من السجن...

## الفصل العاشر

و لأنك لم تعد انت، لا تنتظر مني أن أبقى انا.
" وليم شكسبير "

قبل خمسة و ثلاثون يوماً

ألقت نظرة أخيرة على طاولة الغداء المليئة بالأطباق الشهية التي أعدتها منذ الصباح الباكر، إبتسمت و هي تردد لنفسها:
- حسنًا.. الطاولة اصبحت جاهزة.. جاء دورِكِ لكي تجهزي.
إرتدت بلوزة بيضاء من دون اكمام و تنورة حمراء يصل طولها إلى ركبتيها، وقفت أمام المرآة وهي تدندن مع الموسيقى التي تبث عبر الراديو، سرحت شعرها و تركته منسدلاً على كتفيها، لونت شفتيها بلون أحمر قانئ و كحلت عينيها بإنتباه شديد، و عندما انتهت، حدقت بنفسها مطولاً، أحست بنبضات قلبها تدق بسرعة، حيث كان الاحساس بالأمل يملأ كيانها مجدداً، فالذي عاشته خلال الخمسة سنوات المنصرمة شيء و الذي سوف تعيشه منذ اللحظة هذهِ شيء آخر.
خمسة سنوات لم ترى فيها زوجها سوى مرتين و بعدها قررت التوقف عن زيارته في السجن لأن اصبحت زيارتها له تتعب نفسيتها كثيراً، حرمت نفسها من رؤيته أملاً في أن تنقضي تلك المدة و تراه حراً طليقاً.
رن جرس الباب، ركضت بشوق، لكن بمجرد أن فتحت الباب شهقت مفزوعة و عادت بجسمها للوراء وهي تردد بكلمات متقطعة:
-جمال.. هذا.. انت؟
كان جمال واقفاً عند الباب و أول شيء لفت انتباهها فيه هي لحيته الطويلة و الكثيفة و شعره المجعد و المبعثر لدرجة تشعرك و كأنه لم يرى المشط منذ فترة طويلة.
كان يرتدي قميص ابيض و بنطلون كحلي وهي ذاتها الملابس التي كانت عليه عندما خرج من البيت و لم يعد بعدها، حيث بدت الملابس واسعة جداً بسبب نحافته الواضحة.
- صراحةً، الذنب ذنبكِ، لو كنتِ تزوريني مرةً في السنة، لما كنتِ متفاجئة هكذا.
قال جمال ذلك و دخل البيت بخطوات سريعة، توقف مقابلها و اردف بطرافة:
- على عكسي تماماً، انتِ إزدتي جمالاً، أكل هذا لي!
طالعت ملامح زوجها و ما صنع به السجن بحرقة، قالت و قد اغرورقت عينيها بالدموع:
- نبرة صوتك هي الوحيدة التي ظلت على حالها و لم تتغير.
خيم صمت قصير حيث كانا يطالعان بعضهما و كأنما كانا بحاجة إلى لحظة صمت تقرب قلبيهما قبل الكلام.
فكسرت سوزان حاجز الصمت هامسة:
- أهلاً بك في بيتك مجدداً.
و ارتمت في حضنه بشوق كبير..

بعد نصف ساعة..

كانت سوزان و الخالة فرح تجلسان على طاولة الغداء تتحدثان بإنسجام عن مواضيع مختلفة، انضم إليهما جمال و أخذ مكانه على رأس الطاولة بعدما استحم و حلق لحيته بإصرار من سوزان.
اخذت سوزان تمسك بكفه بين كفيها قائلة بفرحة غامرة:
- لا تعلم كم اشتقتُ اليك.
سحب يده بهدوء، وضع ملعقة من الرز في فمه و قال:
- ليس بحجم اشتياقي لكِ.
ارتشف القليل من الماء و اردف بنبرة قاسية بعض الشيء:
- على الاقل انتِ كان بإمكانك أن تنهي حالة الاشتياق متى شئتِ و تزوريني في اللحظة التي تقررين فيها .. كنت انتظر أن يحن قلبكِ ولكنه لم يحن..
رمقته بنظرة جانبية حيث سكنها الحزن ثانية وهي تستذكر السنوات التي مضت، كانت عينيها تحدق

بيدها الممسكة بالملعقة تدق بالصحن مصدرة صوت رنين مزعج بعض الشيء، قالت بصوت يتحشرج:
- أنت محق.. لكن.. بما إنك نسيت و للمرة الأخيرة سوف اذكرك بما كنت أعانيه بعد كل زيارة اقوم فيها لك.. كانت تصيبني نوبة بكاء هستيرية، لمدة ساعة او اكثر، و بعدها اصير طريحة الفراش ليومين لا احس بما يدور حولي.. و الخالة فرح شاهدة على كلامي.. كنت أرى كوابيساً، اخشى بعدها النوم مجدداً.. برأيك.. هل كان علي الإستمرار في زياراتي لك و تجاهل ما كان يحدث معي او أحرمك و أحرم نفسي من رؤيتك حتى أرتاح نفسياً.. أيهما الصح بنظرك !
توقفت عن اصدار الصوت و انتظرته يرد على سؤالها محدقة به، لام جمال نفسه على الأجواء المتشنجة التي تسبب بها عن قصد، ابتسم إبتسامة مضطربة و قال:
- أنا آسف.. لم أقصد مضايقتكِ مطلقاً.
قالت بشيء من الانفعال:
- بلى... كنت تقصد.. و الدليل..
قاطعتها الخالة فرح:
- سوزان، جمال.. كفى.. كفى عتاباً.. تذكرا انكما كنتما تحلمان بهذه اللحظات، أن تكونا معاً تحت سقف واحد مجدداً.
ابتسم جمال لخالته ثم تطلع بسوزان التي كانت مطرقة رأسها، تحدق بالصحن بملامح متكدرة، قرب رأسه منها، طبع قبلة على خدها و قال مداعباً:
- هلا غفرتي لي تصرفي الأخرق؟
ابتسمت ببرود و اعتبر أن ابتسامتها وضعت نهاية للأمر، فسألها عن عملها في متجر الملابس.
ردت بعد قليل من الصمت حيث لايزال مزاجها متعكر:
- كل شيء جيد، و صاحب المتجر رجل متفهم جداً، بمجرد أن علم بعودتك، أعطاني اجازة يومين لكي اهتم بك.
- من الغد بإذن الله سوف اقوم بالبحث عن عمل و بعدها سوف تعودين للجلوس في البيت كالاميرات.
قالت بحرارة:
- لكنني أحب العمل و أعتبره المتنفس الوحيد لي. لا تنسى إن أول لقاء جمعك بي، كان في شركة أبي التي كنت ادير احد أقسامها بنفسي.
قال همساً و عينيه في صحنه:
- كيف لي أن انسى.

كانت تمضي الأيام ثقيلة و بطيئة على سوزان التي كانت تقضي ساعات النهار في متجر الملابس و جمال كان يقضي معظم وقته في البحث عن عمل لكن دون فائدة...

بعد اسبوعين...

كانت ممددة على الاريكة بيدها جهاز التحكم تنتقل من قناة إلى أخرى، عندما دخل جمال البيت مهموماً و لأن ملامحه كانت تختلف عن سائر الأيام، تسائلت:
- هل حدث أمر ما؟
جلس على المقعد ذو مسندين مطرقاً رأسه أرضاً، يقول بصوت أجش:
- اليوم عرفت بالصدفة خبر مؤسف للغاية.
سكت للحظة، هز رأسه مستطرداً:
- والدك.. توفي قبل سنة.. و عندما استفسرت اكثر عن الأمر، تبين إنه في يوم ميلاده و بعد أن احتفل مع

العائلة بذاك اليوم، دخل غرفته لكي ينام و لم يستيقظ بعدها.
نهض من مكانه و جلس بجوارها حيث كانت لا تبدي اية ردة فعل، كانت تغرق في صمت تام، تحدق بنقطة مجهولة، ربت على يدها برفق، تطلعت إليه، انحدرت دمعة على خدها، أخيراً رددت بغصة:
- بابا مات.. مات.. وهو ليس راضٍ عني..
كان يريد أن يقول شيئا لكنها لم تعطيه الفرصة و نهضت تسير إلى غرفتها، أغلقت الباب خلفها و بدأت تبكي بألم و حرقة.
نهض جمال لكي يهدأها لكن سرعان ما غير رأيه و عاد إلى مكانه لكي تأخذ حصتها في الحزن على أبيها، فهو لم يكن ليخبرها بموت والدها إلا لأجل غاية في نفس يعقوب.

## الفصل الحادي عشر

إذا استيقظ العقل يوماً و اراد أن يتخذ القرارات، اسمح له بذلك..
فليست دائماً قرارات القلب صائبة.
"فاطمه هاشمي"

بعد اسبوعين...

دفئ يده وهو يلمس يدها و صوته الحنون وهو يناديها، كانتا كفيلتا بتحريك مشاعرها و إخراجها من حالة الصمت التي دامت لأكثر من أسبوع:
- سوزان.. ابنتي.. كفاكِ نوماً.. آن الاوان كي تستيقظي..
استيقظت مفزوعةً وهي تنادي بحرقة:
- بابا.. بابا.. أرجوك لا تتركني..

الساعة العاشرة مساءًا

دخل جمال البيت فوجده كالعادة يغط في ظلام موحش، اشعل الأنوار و سار بإتجاه غرفة النوم، كانت سوزان جالسة على السرير بيدها صورة والدها، تبكي بصمت.
إذ شكل خبر رحيل والدها لها صدمة كبيرة، لكن الصدمة الأكبر هي عندما استفسرت عن سبب الوفاة و اتضح إنه في ليلة عيد ميلاده أحدهم أخبره بالحياة الصعبة التي تعيشها ابنته بعدما دخل زوجها السجن، الخبر أحزنه لدرجة ظل صامتاً طوال الحفل.
جلس جمال بجانبها، اخذ الصورة من يدها، ألقى نظرة خاطفة على الصورة و وضعها في مكانها، ثم عاد بالنظر اليها حيث لم تكن تبدي اية ردة فعل، قال ببعض من التردد:
- سوزان.. ألا تفكّرين في زيارة اهلكِ؟
رمشت عينيها بإضطراب، هزت رأسها بالنفي، تحرك بجسمه وهو يفكر كيف يطرح عليها ما يدور برأسه.. فخرجت الكلمات من فمه عليها كالصاعقة، حينما قال:
- ولا حتى لأجل الميراث؟
رمقته بنظرة عصبية و تسائلت بصوت يرتعش:

- ماذا! ماذا تقصد بالميراث؟
أرعبته نظراتها، لكنه لم يستسلم بهذهِ السهولة:
- قصدي واضح يا حبيبتي.. بالنهاية انتِ لكِ حق في ميراث والدكِ و يحق لكِ أن تطالبي به، ولا أتوقع بأنكِ سوف تتبرعي به لإخوتكِ الأربعة و نحن بأمس الحاجة للمال.
رددت وهي تهم بالنهوض:
- الأفضل أن تمسح هذهِ الافكار من رأسك، لأنني لم و لن افكر للحظة واحدة بما تقوله.
تركته و خرجت من الغرفة، تبعها متسائلاً:
- ولكن لماذا؟
تطلعت به لبرهة وهي غير مستوعبة هذا الحديث الذي يدور بينهما، قالت وقد ارتعشت يداها قبل صوتها:
- ببساطة.. لأن هذا الميراث ليس من حقي و انا سبق و تخليت عنه و عن كل شيء لأجلك انت.
قال ببرود:
- لا بأس و أنا الآن أطلب منكِ أن تطالبي بحقكِ لأجلي.
سكت لثوان ثم حاول أن يغير نبرته في التعاطي معها، فقال بحزن مفتعل:
- سوزان.. افهمكِ.. لكن ألا ترين الظروف التي نمر بها؟ لا احد يرضى أن يوظفني فقط لأنني كنت سجين سياسي.. هذهِ فرصة و يجب أن نستغلها.
صاحت باكية :
- فرصة ! موت ابي فرصة ! لا اصدق ما أسمعه منك يا جمال.
استدارت مبتعدة عنه، جذبها من ذراعها و صاح بعصبية واضحة:
- سوزان.. سوف تفعلين ما اريد.. أتفهمين؟
بدايةً كانت متفاجئة بتصرفه الذي حسبته مجرد رأي و كان يطرحه عليها لكن بعدما اتضحت امامها الصورة، تغلب الغضب على المفاجئة، دفعته برفق و رددت ساخرة مهشمة الصوت:
- لقد تأخرت يا سيد جمال، لأنك ببساطة كان يجب أن تكسب قلب ابي، قبل قلبي لكي تحصل على ثروته التي على ما يبدو كانت عينك عليها منذ البداية و..
و إذا بصفعة قوية أفقدتها النطق، حيث ظلت متصلبة أمامه لا تحرك ساكناً، فقط دموعها تسيل على خديها بغزارة، فأشار جمال بإصبعه مهدداً:
- اياكِ أن تشككي في حبي لكِ.. اياكِ.. فأنا لولا الظروف التي نمر بها لما طلبت منكِ هذا الطلب.
حركت شفتاها لتقول شيئاً لكنها غيرت رأيها في اللحظة الاخيرة و ركضت إلى غرفتها مغلقة الباب خلفها بعنف.

بعد ساعات

بعدما تأكد لها إن جمال سيقضي الليلة عند خالته، قررت أن تستغل غيابه و ترحل، اخذت ورقة و صارت تكتب و دموعها تسيل بلا توقف:
" لقد انتهت حكايتنا أسرع مما كنتُ أتخيل.. ظننت إننا سوف نشيخ معاً لكي نحكي حكايتنا لأحفادنا.. لكن الشيء الوحيد الذي جنيته من هذهِ الحكاية، هو جرح عميق لن يطيب و إن دار عليه الزمن. "

تركت الرسالة على الطاولة ثم خلعت الخاتم من إصبعها، نظرت إليه نظرة أخيرة ثم وضعته فوق الرسالة و تركت البيت دون أن تتردد لحظة واحدة.

الوقت الحالي ..

وقفت عند عتبة الباب، نظرت إليه حيث كان واقفاً عند شباك الغرفة يدخن سيجارته فألقت عليه تحية الصباح، ألقى السيجارة من الشباك و إلتفت نحوها يرد عليها التحية، فقالت:
- الأجواء رائعة هذا الصباح، ما رأيكم أن تتناولوا الفطور في الهواء الطلق؟
- لن أجيب على سؤالكِ حتى تصصحي الجملة..
ضحكت قائلة:
- حسناً.. ما رأيك أن نتناول الفطور في الهواء الطلق؟
وقف امامها حيث كانت تشع جمالاً بفستانها البنفسجي و شالها الأسود، ابتسم و هو يطالعها بتردد، هزت رأسها متسائلة:
- هل السؤال صعباً لهذهِ الدرجة !
حك أمين رأسه و ردد همساً:
- بل جمالكِ هو الاصعب بدرجات، هذا الصباح.
- عفواً ؟
كان مرتبكاً لدرجة إنه لم يقوى على الوقوف و جلس على السرير قائلاً بإختصار:
- موافق..
غادرت سوزان المكان دون استيعاب تاركة أمين ضائعاً امام إحساس يكبر في داخله مع الوقت، إحساس جميل و كان سعيداً به لكنه كان متخوفاً منه كذلك..
و في غمرة المشاعر التي كانت تجتاحه، وقعت عيناه على صورة سارة، ابتسم ابتسامة خجولة، كطفل داهمته أمه وهو يأكل الحلوى دون علمها.
فتح باب الغرفة بهدوء، كانت أمه تغط في نوم عميق، جلس على طرف السرير، ابعد خصلة الشعر التي كانت تغطي وجهها و صار يناديها بصوت خفيض:
- أمي.. أمي.. استيقظي.. ليس من عادتكِ أن تنامي كل هذا الوقت.
ثم نهض و ازاح الستائر و فتح شباك الغرفة.
- كم الساعة الان؟
- العاشرة..
- الذنب ذنبك..
جلس بجانبها متعجباً:
- ماذا تقصدين؟
- لولا الكتاب الذي أهديتني إياه لما سهرت ليلة البارحة، حتى الصباح.
- قرأتي الكتاب كله، ليلة البارحة! لم اكن اعلم إنك تحبين القراءة هكذا.
حركت جسمها بخمول و استوت جالسة على السرير قائلة :
- أنا لا أقرأ، لكن عندما أفعل، فأنا أقرأ بشراهة.
ضحك و نهض طالباً منها النهوض لكي يتناولا الفطور معاً، فأمسكته من ذراعه و أعادته إلى مكانه متسائلة:
- لحظة.. أخبرني كيف حال قلبك؟
فأجابها:
- قلبي على حاله.
قربت رأسها منه، تفحصت تعابير وجهه قائلة بنبرة خاصة:
- لكنني ارى عكس ما تقول.

رفع حاجبيه متاسئلاً:
- و ماذا ترين؟
- أرى احاسيس و مشاعر جديدة. أنا متأكدة.
تسائل وهو يهز رأسه ضاحكاً:
- و كيف تأكدتي؟
- من خلال هذهِ اللمعة التي أراها في عينيك.
نهض واقفاً يحملق بوجهه في المرآة يقول مداعباً:
- اين هي تلك اللمعة، لماذا لا اراها؟
لكن فجأة اصبح جاداً، عاد بالجلوس بالقرب من والدته، اطلق تنهيدة عميقة و قال:
- حسناً.. لن انكر انني معجب بها.. ريحانة.. هذهِ الفتاة التي مُذ دخلت بيتنا و أصبح لكل شيء لون و نكهة.
سكت للحظة ثم أطرق رأسه قائلاً:
- لكنني خائف يا أمي..
أمسكت رأسه بين يديها و حدقت في عينيه قائلة:
- و لمَ الخوف؟ البنت جميلة و مهذبة و بسيطة.
- و غريبة و لا نعرف عنها شيئاً..
- افهمك.. لكنني لا اقول لك تزوجها غداً.. أمين الناس بدأت تتكلم ولا بأس أن يكون لوجودها في بيتنا صفة.
- ماذا تقصدين؟
ابتسمت و ربتت على كتفه قائلة:
- اشتري لها خاتماً و تكلم معها بالأمر، و بعد فترة نقيم حفل الخطوبة.. ما رأيك؟
- ماذا لو رفضت؟
فرفعت السيدة حاجبيها قائلة بفخر كبير:
- ترفض! ابني لا يُرفض.
نهض، قال ساخراً و قد علت وجهه مسحة من الحزن:
- ابنكِ ليس فقط يُرفض بل يُهجر و يُنسى ايضاً يا امي.
خرج من الغرفة فلمحت عينه سوزان حيث كانت تزين طاولة الفطور بالزهور، تعالى وجيب قلبه، فقرر أن يفعل بنصيحة امه، فبما أن الحياة تريد أن تعطيه فرصة ثانية، فلماذا يسمح للخوف و القلق بهدرها.

## الفصل الثاني عشر

أيُها النسّاجون:
أُريدُ كَفَناً واسعاً لأحلامي.
"محمد الماغوط"

كان منشغلاً بالعمل على الحاسوب حين رن الهاتف، رفع السماعة و عينيه على الجهاز قائلاً:
- أهلاً امي.. أنا بخير.. كيف حالكِ أنتِ؟
- أنا بخير.. اتصلت كي اخبرك انني مدعوة الليلة لعيد ميلاد صديقتي و أصرت أن اقضي الليلة عندها.
فتسائل بعفوية:

- تقضين الليلة خارج المنزل، ما الداعي لذلك؟
- يا ولد منذ متى تتدخل في اموري؟
ضحك قائلاً:
- امي عزيزتي من أكون أنا لكي أتدخل في أمورك !
- لأنك تتصرف و كأنك أمي.
انفجر أمين ضاحكاً، فقال محاولاً السيطرة على نوبة الضحك التي استولت عليه:
- سامحيني و لن أعيدها مرةً ثانية..
- لا بأس، على فكرة لا تتأخر كثيراً في العمل و تترك ريحانة بمفردها في البيت.
- لن اتأخر.
قال ذلك و اخرج علبة صغيرة حمراء من داخل الدرج، أعاد السماعة مكانها بعدما أنهى المكالمة، فتح العلبة بهدوء و اذا ببريق الخاتم يداعب ناظريه، ابتسم بشوق وهو يتخيل اللحظة التي يضع الخاتم في اصبع سوزان او ريحانة.
في تلك الأثناء سمع سكرتيرته تطرق باب المكتب. راح يدس العلبة في الدرج مجدداً.
دخلت السكرتيرة المكتب تحمل أوراقها بين يديها، وضعت الاوراق امامه قائلة:
- أحدهم يدعى جمال يود مقابلتك.
تسائل وهو يطالع الاوراق بتمعن:
- جمال؟ من يكون؟ و لماذا يريد مقابلتي؟
- قال بأنه يريدك في امر خاص.
رفع رأسه اخيراً و قال:
- حسناً، اسمحي له بالدخول.
خرجت السكرتيرة، فعدل أمين جلسته على الكرسي و بعد لحظات دخل غرفة المكتب رجل في الثلاثينيات من عمره، يرتدي قميص بني و بنطلون اسود، جلس على الكرسي بعدما ألقى التحية و كان متوتراً بعض الشيء، تطلع أمين به حيث كان مطرقاً رأسه، فقال:
- كيف أستطيع أن أخدمك يا سيد جمال؟
في تلك اللحظة دخل العامل يحمل بيده صينية الشاي، وضع الكوب الأول امام جمال و الكوب الثاني قدمه لأمين و خرج على الفور، ارتشف جمال القليل من الشاي ثم اخرج جهاز المحمول من جيبه، فتحه و اعطاه لأمين قائلاً بصوت يرتعش:
- هل تعرف هذهِ المرأة؟
ارتعشت يد أمين وهو يشاهد صورة سوزان بجانب جمال، رفع عينيه عن الهاتف بصعوبة بعدما نظر إلى صورة سوزان مطولاً و الإبتسامة تزين شفتاها، تسائل:
- أتعرفها؟
اخذ جمال الهاتف و قال بشيء من الإنفعال:
- هذهِ زوجتي..
صعق أمين و ظل يطالع جمال بذهول، فبدأ الأخير يشرح له ما حدث بشكل مختصر، لكن أمين لم يكن يصغي بإنتباه و ذهب بفكره بعيداً، إلى حيث قادته مشاعره التي أخذ يراها تتلاشى بقسوة لا حدود لها.
أخرجه صوت جمال وهو يناديه، هز رأسه متسائلاً بصوت منخفض:
- و كيف عرفت إنها عندنا؟
ارتشف جمال ما تبقى من كوب الشاي الذي كان أمامه و قال:
- بعد يوم من رحيل سوزان، جائنا اتصال من رقم غريب و المتصل لم يتكلم، كانت خالتي من ردت على الاتصال، بوقتها لم تخبرني بالأمر، لكن بعد فترة أعلمتني بموضوع الإتصال، عندما استفسرت عن صاحب

الرقم اتضح إنه رقم بيتكم، كنت افكر بالذهاب إلى هناك، لكن.. صراحة.. لا أدري ماذا اقول..
سكت للحظة ثم استطرد:
- اريدك أن تساعدني في إقناعها للعودة إلى البيت.. ارجوك.. هل يمكنني أن اعتمد عليك في هذا الأمر؟
تنهد أمين حيث كانت الدموع توشك أن تطفر من عينيه، قال مطمئناً:
- لا تقلق، اعتبر زوجتك عندك غداً.
نهض جمال شاكراً أمين و غادر المكتب بفرحة غامرة، ظل أمين يراقب لحظة مغادرته، بدأ ذقنه يرتجف من حزن اعتاد كبته، بعد لحظات اخرج علبة الخاتم من الدرج، انحدرت دمعة على خده بهدوء، ردد بغصة:
- لقد أُسدل الستار على أحلامك مبكراً هذهِ المرة و ها أنت تعيش كابوساً من نوع آخر.
أخذ نفساً بعمق، احس بأنفاسه محبوسة في صدره و صار التنفس شاقاً عليه، أسند رأسه للخلف، ظلت عيناه ملتصقة بالسقف لساعات طويلة رافضاً استقبال أحد، حتى أن وجد الشجاعة في مواجهة سوزان أخيراً.
وقف أمام المدخل متردداً للحظات، رفع رأسه يطالع السماء، كان القمر في ليلة اكتماله، وحيداً، حيث كانت السماء خالية من النجوم.
اخذ نفساً عميقاً و دخل البيت، كانت سوزان جالسة امام التلفاز و بمجرد أن أحست بقدومه، نهضت قائلة:
- مساء الخير، سوف أحضر لك شيئاً تأكله.
سار بإتجاه جهاز التحكم، أطفأ التلفاز و جلس قائلاً ببرود:
- اجلسي.. اود التحدث اليكِ.
تطلعت به بإستغراب، كان مطأطأً رأسه مُذ دخل البيت و لم ينظر إليها حتى عندما كان يكلمها و لم ترى فيه الإهتمام الذي اعتادته، جلست و انتظرت أن يبدأ حديثه معها، لكنه بقي صامتاً لمدة طويلة، فكسرت حاجز الصمت متسائلة عن الموضوع الذي يود أن يكلمها فيه، رفع رأسه يطالعها، كانت نظراته حزينة لدرجة جعلت سوزان ترتعش في داخلها، ابتسم متسائلاً:
- كيف حالكِ؟ هل تشعرين بالراحة بوجودكِ هنا؟
هزت رأسها بعدم استيعاب، عدلت شالها بإرتباك هامسة:
- بكل تأكيد.
- ألا تريدين إخباري شيئاً؟
- شيء مثل ماذا؟
- مثلاً إنكِ تذكرتي شيئاً من الماضي.
نهضت قائلة بإضطراب:
- سوف نتحدث بهذا الامر بوقت لاحق، سوف أجهز العشاء.
سارت بإتجاه المطبخ فناداها: سوزان...
توقفت في مكانها مرتعدةً، سألها وهو لا يزال جالساً في مكانه:
- أليس هذا هو اسمكِ؟
استدارت بجسدها مطرقة رأسها أرضاً، نهض واقفاً بالمقابل منها، كان هادئاً في البداية عندما انهال عليها بالاسئلة:
- لماذا لم تكوني صريحةً معي؟ لمَ كذبتِ علي؟ لماذا جعلتني أبدو كالابله امام زوجكِ؟
في تلك الاثناء طالعته لتقول شيئاً، لكنه لم يعطيها الفرصة و قال بغصة شديدة:
- أنتِ متزوجة و تركتني افكر بكِ افكاراً جعلتني اخجل من نفسي بعدما عرفت الحقيقة.
- أنا...
- أنتِ ماذا؟ لا تقولي انكِ لم تشعري بما كان يحدث في قلبي، ليتني لم ألتقي بكِ يوماً.
استدار مبتعداً عنها يتمتم:

- جهزي نفسكِ غداً صباحاً، لكي تعودي إلى بيتكِ.
اعترضت طريقه ترجوه:
- ليس قبل أن تسمعني.. أرجوك دعني اشرح لك الأمر.
تطلع بها للحظات ثم جلس قائلاً:
- تفضلي و اشرحي لي ما شئتِ، لكن شرحكِ لن يغير شيئاً في الأمر.
جلست و بدأت حديثها بصوت مرتعش و قصت له قصتها بشكل مفصل، كأنها بتلك الطريقة كانت تكفر عن الألم الذي سببته له بقصد أو من دون قصد.
و أنهت حديثها قائلة بصوت متقطع و الدموع تسيل على خديها:
- ليلتها.. كانت نفسيتي مدمرة لدرجة إنني كنت انوي إنهاء حياتي من دون أي تردد.. لكن.. القدر وضعك في طريقي.. كنت أخشى أن اخبرك الحقيقة، فتعيدني إليه مثلما تفعل الآن.. كذبت.. لم يكن أمامي حل غير ذلك.. و بعدما شعرت بإحساسك تجاهي.. قررت.. أن أستغل غياب والدتك و اخبرك بالحقيقة الليلة.. لكنك.. سبقتني بمعرفتها.
توقفت عن الكلام للحظة بعدها صارت تمسح دموعها بإضطراب و تقول:
- ارجوك سامحني، فأنا لم اكن اريد خداعك .. صدقني.. أنا لست هكذا.
ابتسم بحزن و قال:
- أنا على ثقة بأنكِ لستِ هكذا و الدليل انكِ فعلتي بي ما لم تستطع فعله اي امرأة خلال الخمس سنوات الماضية و حركتي بداخلي مشاعر كانت ميتة أو ظننتها ماتت، و على ما يبدو أن لا نهاية لمعاناتي مع هذا القلب اللعين.
ثم اخرج علبة الخاتم من جيب سترته، فتحها، رفع يده قائلاً:
- هذا الخاتم كان شاهداً على كل شيء.
وضع العلبة على الطاولة و نهض تاركاً سوزان محدقة بالخاتم بحزن عميق، دخل غرفته، أسند جسمه على الباب و صار يضرب بقبضته على صدره، تحديداً مكان قلبه و يردد بحرقة:
- تباً لك تباً لك...

## الفصل الثالث عشر

و مع ذلك..
فإن مصيبتنا لا تكمن فيما سرقته منا السنون..
و لكن فيما تخلفه و هي تمضي.
"وليام ووردزوورث"

بعد مرور أسبوعين على اليوم الذي أعاد أمين فيه سوزان إلى زوجها، رافضاً معرفة مكان بيتها، او حتى في أي عمارة بين العمارات الموجودة في الحي الذي تسكنه، تحسباً لأي لحظة يمكن أن يشتاق لها، فيقوده ضعفه إليها.
بعدما غادرت سوزان حياتهم، اصبح أمين يقضي معظم وقته في العمل و عندما يكون في البيت، كان يظل صامتاً، يحدق في الأرض لوقت طويل، فكانت والدته تجلس إلى جانبه تحاول أن تزرع في قلبه الأمل بالكلمات، لكنه يظل صامتاً طوال الوقت و في نهاية الأمر ينهض مقبلاً رأسها، يقول مازحاً لكن نبرة صوته تظل حزينة:

- أمي.. أنتِ المرأة الوحيدة التي تستحقين أن أحبكِ دون أن انتظر منكِ المقابل.

الساعة العاشرة صباحاً، دخل مكان عمله قائلاً للسكرتيرة التي نهضت لأستقباله تزين وجهها ابتسامة جميلة:
- صباح الخير.. لمدة ساعة.. لا اريد أن استقبل أحد.. أخبري العم نادر أن يحضر لي كوباً كبيراً من القهوة، اضافة إلى حبة وجع الرأس، شكراً.
دخل غرفة المكتب، أشعل المصباح و إرتمى على الاريكة بتثاقل، اسند رأسه للخلف و ابقى عينيه مغمضة، بعد دقائق قليلة جاء العم نادر يحمل صينية القهوة هذا الرجل الستيني الذي كان يعمل سائق لدى هذهِ العائلة منذ أن كان أمين طفلاً و بعدما شاخ و ضعف بصره تم نقله إلى العمل في مقر المجلة.
وضع الصينية على الطاولة، تطلع بأمين للحظة، انتابه الإحساس بالحزن و تمنى لو كان بوسعه مساعدته، لكن ماذا كان عساه أن يفعل غير أن يدعو له بالطمأنينة، فخرج دون أن يزعجه بكلمة..
بعد أقل من نصف ساعة، طرقات على الباب أخرجته من حالة التأمل التي لم تدم طويلاً.
صاح:
- ألم أقل لن استقبل أحد لمدة ساعة..
- ولا حتى أنا؟
فتح عينيه سريعاً و أدار رأسه بإتجاه الصوت منشدهاً، ردد بصوت متقطع:
- سا سارة! هذهِ انتِ؟
نط من مكانه على الفور قائلاً:
- أنا لا أتوهم أليس كذلك؟
اقتربت منه، وقفت بالمقابل منه، وضعت رأسها على صدرة هامسةً:
- أنت لا تتوهم، أنا هنا، بقربك...
ضمها إليه بشوق، همس في إذنها:
- اشتقتُ اليكِ كثيراً.
مضت ثوان و طرق الباب، دخل العم نادر يحمل بيده صينية العصير، ألقى التحية عليهم حيث كانت تبدو على ملامحه الفرحة و المفاجأة، إذ لم يكن مصدقاً أن الله استجاب دعوته بهذه السرعة، وضع الصينية على الطاولة و حمل صينية القهوة قائلاً و موجهاً كلامه إلى سارة:
- أهلا بعودتكِ إلى الوطن بنيتي، بعودتكِ اعدتي الروح إلى هذا الرجل الذي عانى الكثير بغيابكِ.
شكرته و رافقته بعينيها حتى خرج من الغرفة ثم عادت بالنظر إلى أمين الذي كان يتأملها بصمت، ابتسمت له، لكنها رأت وميض قلق يلتمع في عينيه حيث سألها:
- انتِ بخير؟
كان يقصد ملامح وجهها المتعبة و الهالات السوداء التي بدت واضحة تحت عينيها و حتى مظهرها لم يكن الشيء الذي اعتاد عليه منها إذ كانت في اصعب الظروف ترتدي ألواناً مبهجة، لكن سارة التي تقف امامه الآن كانت ترتدي رداء أسود بالكامل، اخذت مكانها على المقعد متجاهلة سؤاله، جلس بجانبها، قال مغيراً الحديث:
- لا تعلمين مدى سعادتي و أنا أراكِ امامي.. امي ستفرح بعودتكِ كثيراً.
ارتشفت جرعة من العصير و قالت ببرود مصطنع:
- أنا لم أتي لأبقى..
- تمزحين، أليس كذلك؟
- أنا لا امزح، أرجوك أن تفهم أن ما بيننا قد انتهى..
نظر إليها بعدم استيعاب للحظة ثم ضحك قائلاً:

- انتِ تمزحين او أنكِ تريدين أن تختبرين صبري..
اضطربت، وضعت كأس العصير على الطاولة قائلة:
- أمين.. اخبرتك انني لا امزح ولا حتى اريد إختبار صبرك.. ارجو أن تفهم أن حكايتنا انتهت.
تكدر وجهه، فأطرق رأسه متفكراً لبرهة إذ لم يكن يريد أن تنتهي هذهِ اللحظات بهذه الطريقة، فأمسك يديها يقول متوسلاً:
- قولي إنك تمزحين.. ارجوكِ سارة لا تتلاعبي بمشاعري، فأنا لست قادراً على تحمل المزيد.
تألمت وهي تراه يستعطفها، فضغطت على يده تحاول قدر المستطاع أن تجعله يتفهم وجهة نظرها:
- أنا أتلاعب بمشاعرك؟ أنت حبيبي و أجمل شيء حدث لي في هذهِ الحياة، لكنني كل ما اريده هو أن تفهم اننا وصلنا إلى طريق مسدود..
ارتعشت عندما صاح بغصة:
- اذاً لماذا عدتي؟
اخذت تتأمله للحظات، ابتسمت نصف ابتسامة و قالت بصوت يتحشرج:
- عدت لأنني كنتُ بحاجة إلى رؤيتك.. بحاجة إلى أن اضع رأسي على صدرك و اشعر بوجودك قربي.. هل اخطأت؟
نظر اليها مطولاً، محاولاً السيطرة على الإحساس بالخذلان الذي كان ينفذ إلى قلبه شيئاً فشيئاً، فأعلن بنظرة جافة:
- أجل اخطأتي و لعودتكِ هذهِ معنى واحد ألا وهو، إنكِ أتيتِ لكي تطمئني أن قلبي مازال متيماً بكِ.. لا تقلقي.. أنا كما كنت و لم أتغير و مازال حبكِ كالطوق يلتف حول عنقي دون أن يتسبب بموتي..
كلماته القاسية صدمتها، اطرقت رأسها تبكي بألم، رفع رأسها بيديه بحدة و قال بحزن عميق:
- ألم تأتي لكي تريني.. ها انا أمامكِ.. انظري جيداً.. رجل وحيد، محطم و يائس.. كل هذا بسببكِ و هذا ما صنعته أنتِ بي.
خنقته العبرة و أحس بضيق في صدره، نهض يفتح الشباك بعصبية، كانت سارة ملتزمة الصمت تتطلع إليه و دموعها منهمرة على خديها، ظل أمين واقفاً أمام الشباك يوليها ظهره لثانية بعدها اخرج علبة السجائر من جيبه، أشعل سيجارته و صار يدخن بشراهة كأنما كان يريد أن ينتقم من نفسه و منها بتلك الطريقة، مضت دقائق و الاثنان يغوصان في صمت مميت، فكسرت سارة حاجز الصمت قائلةً بنبرة حزينه، و صوتها راح يرتعش مع كل كلمة كانت تنطقها:
- لقد تغيرت يا أمين و الدليل هذا الدخان الذي يملأ المكان.. سامحني إن اقتحمت وحدتك و تسببت في تهييج مشاعرك.. كل ما هنالك انني جئت لكي أرى الفرحة في عينيك بعد فراق دام لاكثر من خمس سنوات.. رأيتها.. لكنها اختفت بسرعة و اخذت مكانها اشياء ليتني لم أراها.. سامحني..
انتظرته يقول شيئاً اي شيء يحسسها بأنها لم تخطئ في قرارها بالعودة، لكنه ظل ساكناً يحدق في فراغ.
نهضت تسير نحو الباب حيث كانت تجر ساقيها بصعوبة، كان قلبها يدق بجنون و احست إن الأرض تدور، كان عليها أن تقاوم لكي لا تنهار و تخر أرضاً، أدارت مقبض الباب بيدها التي كانت ترتعش بوضوح و بلحظة سقطت على الأرض مغشياً عليها، ركض أمين إليها، رفع رأسها عن الارض وهو يناديها و يرجوها بأن تفتح عينيها فسقط الشال و سقطت معه الباروكة التي كانت تغطي بها فروة رأسها الخالية من الشعر، صعق أمين وهو يراها بتلك الحال، انحدرت دمعة على خده و بصوت يمتزج بين الحزن و الغضب صاح طالباً سيارة الإسعاف....

في اليوم التالي

شبك أمين اصابعه المتشنجة بإنفعال وهو يستمع إلى شرح الطبيب عن حالة سارة الصحية:

- نحن تواصلنا مع المشفى الذي كانت المريضة تتلقى العلاج فيه في امريكا و تبين إنها تلقت جلسات العلاج الكيميائي، لكن جسمها لم يستجيب مع العلاج بسبب نفسيتها.. نحن سنعمل ما بوسعنا لأجلها لكن المريضة بحاجة إلى اجواء تحسسها أن لوجودها في هذهِ الحياة أهمية، لكي تصارع من اجل البقاء.
بعد اللقاء الذي جمعه بالطبيب، ظل أمين يذرع ممر المسفى المؤدي إلى غرفة سارة ذهاباً و إياباً، تارة يفكر في ما قاله الطبيب و تارة أخرى يلوم نفسه على ردة فعله تجاه ما قالته له سارة في المكتب، كان غارقاً في أفكاره عندما أخرجه صوت الممرضة تسأله:
- حضرتك السيد أمين؟
هز رأسه مؤيداً، فقالت:
- المريضة في الغرفة ٦٦٠ سألت عنك مراراً.
بعد اقل من نصف ساعة وجد في نفسه الشجاعة أخيراً للقاءها، ظل واقفاً أمام النافذة يطالعها لبرهة، حيث كانت جالسة على السرير، ترتدي رداء فضفاض باللون الوردي، تمعن أمين النظر فيها و اجتمعت الدموع في عينيه عندما لم يرى من شعرها البني الجميل سوى خصلات مبعثرة هنا و هناك.
دفع الباب برفق، بمجرد أن احست بوجوده، مدت يدها اليه تقول بصوت يرتعش:
- أمين.. تعال.. إقترب.
كان يغشى الغرفة ضوء منخفض و هذا الامر أراح أمين قليلاً، فهكذا لن تركز سارة في عينيه المنتفختين بسبب الدموع التي ذرفها في الساعات الماضية، وضع كفه بكفها و جلس بقربها على السرير، ثم قرب رأسه طبع قبلة على جبينها قائلاً:
- حمداً لله على سلامتكِ حبيبتي، لم اكن لأسامح نفسي لو حصل لكِ مكروه بسببي لا سمح الله.
ابتسمت مطمئنة و قالت بلهجة مرحة:
- لا تلم نفسك على ردة فعلك الطبيعية، أنا لو كنت مكانك و اخبرتني انك اتيت لكي تراني و تذهب، لكنت صفعتك على وجهك بقوة.
ملأت ضحكاتهم زوايا الغرفة بعد ذلك تسائلت سارة:
- أين خالتي؟
أجاب:
- في طريقها الى هنا.
ثم استطرد بعد قليل من الصمت:
- آه يا سارة.. آه لو تعلمين كيف كانت تمضي الايام و الساعات بدونكِ، لم يصبرني على غيابكِ سوى هذا..
و اخرج هاتفه المحمول من جيب بنطاله و شغل مسجل الصوت، نظر إليها تعلو وجهه ابتسامة هادئة قائلاً:
- صوتكِ.. تتذكرين؟
اومئت رأسها قائلة :
- أتذكر، ليلتها رأيتك في المنام تقول لي إنك اشتقت لصوتي، فقمت بإرسال هذا التسجيل الصوتي كي اكفر ولو القليل عما كنت تعانيه بسببي.
أعاد الهاتف إلى مكانه متسائلاً:
- لماذا لم تقرري العودة بعد سنتين او ثلاث، لم انتظرتي خمسة سنوات؟
تنهدت بعمق مجيبة:
- قبل سنة عندما اخبرني الطبيب عن المرض الذي تمكن مني، قررت العودة، لكن الظروف لم تكن تسمح و قبل شهر اخبرت أمي بقراري لأنني لم يعد بوسعي الصبر اكثر من ذلك، كان يجب أن أراك، كان يجب أن أودعك.. ساعدتني امي في العودة و كنت اتمنى أن تعود هي ايضاً معي، لكن مما لا شك فيه سيتم القبض عليها بمجرد أن تضع قدمها في البلاد.. اما ابي فلم يكن لدينا اي خبر عنه، اختفى منذ ثلاث سنوات.
- و كيف كنتما تعيشان، من كان يصرف عليكما؟

انتباتها نوبة سعال خفيفة، فأجابت وهي تسترد انفاسها:
- بعد اختفاء أبي، امي تركت الاعمال التي كانت تقوم بها و قررت البدأ من جديد و صارت تعمل مربية لتوأم كانت والدتهم لا تقوى على الاهتمام بهما.
عادت اليها نوبة السعال مرةً اخرى ولكن هذهِ المرة كانت اقوى حيث صار صدرها يعلو و يهبط بقوة و بسرعة، اضطرب أمين لكنه حاول أن يتماسك و يسعفها بنفسه، اعطاها كأساً من الماء و اسند جسمها للوراء قائلاً بنبرة حنونة:
- ارتاحي الآن و دعي الكلام لي.
اخذ كأس الماء من يدها، وضعه في مكانه، تطلع بها حيث كانت تطالعه بإنتباه شديد، ابتسم قائلاً:
- سارة، تتذكرين ماذا طلبت منكِ في آخر لقاء جمعنا معاً قبل خمسة سنوات؟
اجابت بصوت مبحوح:
- اتذكر و انا رفضت طلبك.
اخذ يمسك يديها بين يديه بقوة و قال:
- انا الآن اريد أن اعيد الطلب ذاته، تتزوجينني؟
ضحكت بعفوية و قالت:
- أتزوج و أنا بهذهِ الحال!
قال بحرارة و بإندفاع:
- انتِ جميلة و مغرية في جميع حالاتكِ و هذا القلب سيبقى هائماً بكِ مهما حصل.
- ولكن...
قرب رأسه منها، حدق بعينيها المتعبة ناشدها قائلاً :
- فلنفعلها هذهِ المرة يا سارة، فلنتحدى الظروف و القدر، و لنخلق سعادتنا بأنفسنا.
سكت لبرهة يعطيها فرصة للتفكير، فعاد و سألها:
- أتتزوجينني؟
هزت رأسها قائلة و الدموع تسيل على خديها:
- أجل أتزوجك، أنا موافقة.
كانت السيدة ريما واقفة عند الباب تستمع إليهما و تنتظر موافقة سارة و في اللحظة التي أعطت موافقتها، صدح صوت زغاريدها في المشفى، ركضت بشوق إليهما، طوقتهما بفرحة غامرة، فرحة حقيقية لا تشوبها شائبة.

## الفصل الرابع عشر

معظم من يتمتعون بشيء من الذكاء يعلمون أن الحب يتغير بمرور الزمن.
نحافظ عليه بحسب الطاقة التي نكرّسها له، نتشبث به او نضيّعه.
" كولم ماكان "

كانت الشمس تسطع على رأسها وهي تطالع سيارة أمين تبتعد شيئاً فشيئاً حتى اختفت عن الانظار. انقبض صدرها و احساس بالفقد ملأ كيانها، إذ لم تكن تتصور أن هذهِ العائلة سوف تترك أثراً مهماً في داخلها و إنها سوف تعتاد وجودهم بهذهِ السرعة.
استدارت بإتجاه الحي الذي كانت تسكن فيه و سارت بخطوات مترددة، تسأل نفسها:
" ما الذي جاء بكِ إلى هنا مجدداً؟ ألم تأخذي على نفسكِ عهداً، بأنكِ لن تعودي إلى هذا المكان مهما

حصل؟ "
فعادت إلى مخيلتها كلمات أمين التي رددها على مسامعها قبل قليل:
" الهروب ليس حلاً، هكذا تخرجين من حفرة فتقعي بحفرة أخرى أكبر منها.. حاولي أن توصلي ما بداخلك بصوت عال و تتفاهمي مع زوجكِ على حل يرضي الطرفين، بالنهاية انتما تزوجتما عن حب، و بالحب نجد السلام.. "
توقفت وسط الحي تطالع الناس المنهمكة بأعمالها. لم يشعر بعودتها احد، فهي خلال الخمسة سنوات التي عاشتها في هذهِ المنطقة لم تقم بأية روابط اجتماعية، فجأة شعور بالغربة أحاط بها و كانت مرحبة به، حيث لم تكن تريد أن تدع أي شيء يقف امام وصولها للسلام التي هي في صدد الوصول اليه.
بعد دقائق قادتها قدميها إلى نهاية الممر المؤدي إلى شقتها او شقة الخالة فرح، احتارت أي باب تطرق، بعد القليل من التفكير، سارت بإتجاه شقتها، أخذت نفساً عميقاً ثم طرقت الباب مرة و مرتين و ثلاث و في اللحظة التي فكرت فيها بالذهاب إلى بيت الخالة فرح، فتح الباب و أطل جمال من خلفه بثيابه الداخلية إذ كان بيد يفرك عينه و بيده الأخرى يحك رأسه و كالذي استفيظ على حلم جميل، ردد اسمها بلهفة كبيرة و فتح ذراعيه ليعانقها، رفضت اندفاعه بحركة من يدها، أزعجته ردة فعلها الباردة، لكن انزعاجه لم يدم طويلاً، فدعاها إلى الداخل موضحاً وهو يسير نحو الغرفة:
- ظننت أن خالتي تطرق الباب.
دخلت البيت و دارت ببصرها في زواياه حيث بدا مرتباً و نظيفاً و رجحت أن لا أحد وراء هذا الترتيب و النظافة غير الخالة فرح.
جلست على مقعد بمسندين ذو لون رمادي، عادةً عندما يبتعد المرء فترة عن بيته يشعر بالحنين إلى كل ركن من أركانه، لكن هذا لا ينطبق عليها البتة.
بعد دقائق قليلة، عاد جمال مرتدياً قميصاً مقلم أسود و أبيض و بنطلون جينز كحلي، قال وهو يسير بإتجاه الباب:
- سوف اخبر خالتي بعودتكِ و اعود بسرعة.
- لا داعي لذلك الآن..
قالت ذلك و وقعت عينيها على مرآة كانت مكسورة من النصف، اخذ جمال كرسي خشبي، وضعه أمامها، جلس عليه بتثاقل و شرح لها قائلاً:
- في اليوم الذي قرأت رسالتكِ التي تركتها لي، كان أول شيء أفرغت عليه غضبي هي تلك المرآة، فجرحت يدي، لكن الجرح لم يكن عميقاً لحسن الحظ.
شدد جملته الأخيرة محاولاً استعطافها، لكنها ظلت تلتزم الصمت، فقال:
- شكراً لعودتكِ.. سوزان.. أنا من دونكِ ضائع.. انا..
قاطعته قائلةً ببرود:
- أنا لستُ هنا لأستمع لهذا الكلام، إنما أنا هنا لكي ننهي هذهِ القصة، قصتنا.
ارتفع حاجبيه استغراباً بتلقائية متسائلاً:
- و الحب و المشاعر التي كانت تجمعنا !
ابتسمت بفتور مجيبة:
- ها أنت قلتها بنفسك، كانت تجمعنا و تبخرت.
- سوزان.. أعترف بأنني تصرفت معكِ بغباء.. لكن.. أعطني فرصة لكي أصلح ما افسدته، ألا استحق فرصة؟
نظرت إليه مطولاً، و ذهبت بمخيلتها إلى أول يوم التقته فيه، كانت ترى كل شيء فيه مبهراً، ابتسامته، نبرة صوته و نظراته لها، و فجأة اصبح هو الحلم الذي لو لم يتحقق، فهذا يعني إنها لم تحقق شيئاً في حياتها، فتسائلت في داخلها:
- كيف يمكن للمشاعر أن تتغير هكذا؟

و يصبح احساسها بهذا الرجل الذي يجلس امامها، احساس غير مفهوم.
لا حب يحثها على البقاء معه، ولا كره يجعلها تهرب منه..
لا شيء، و هذا الإحساس باللاشيء بالنسبة إليها مؤلم، مؤلم جداً.
رددت بغصة شديدة:
- بلى تستحق، لكنك استنفذت كل الفرص التي أعطيتك إياها مسبقاً و ضاعت في غمرة تحقيق أهدافك التي نسيتني من أجلها.. أجل نسيتني و كأنني لم أكن في حياتك.. كنت تتركني وحيدة بالساعات دون أن تسأل عني.. صبرت و تحملت.. و عندما دخلت السجن، كنت مستعدة أن انتظرك حتى تعود و نبني مستقبلنا من جديد.. و انتظرت.. لكنك ماذا فعلت؟ كسرت قلبي و خذلتني مجدداً و جعلتني أشعر بأنه لا معنى لإنتظاري .. ببساطة.. انت لم تحبني بقدر ما أحببتك.
كان جمال مطأطأً رأسه يستمع اليها بصمت، و في داخله يعطيها الحق بكل ما قالته، لكنه لم يكن يريد أن يخسرها بهذهِ السهولة، طالعها و قد احمرت عيناه من شدة التأثر و ارتعش صوته عندما رد بلهجة متفائلة:
- أرجوكِ سوزان لا تتسرعي في اتخاذ القرار و فكري بما سأقول جيداً.. أنا قررت الهجرة، لأن لا مستقبل لي هنا، لكنني كنتُ انتظر عودتكِ لكي ابدأ بإجراءات السفر.. سوزان.. دعينا نرحل من هنا و نبدأ معاً في مكان جديد، لا نعرف فيه احد.
هزت رأسها تضحك ساخرة وهي تقول:
- أنت تبحث عن حياة جديدة، في مكان لا أحد يعرفك فيه...أما أنا، أريد العودة إلى الوراء، إلى طفولتي، إلى سوزان التي اعرفها و إلى الناس اللذين أحبهم.. نحن لن نتفق، فكل واحد منا ينظر في الإتجاه المعاكس...جمال.. بما إنه ارتباطنا رافقته المشاكل و الخلافات، فليكن انفصالنا بهدوء و محبة.. ترى هل يمكن أن نفعل ذلك، أم أنني افكر بمثالية زيادة عن اللزوم؟

بعد مرور شهرين

كانت جالسة على السرير، أمامها حقيبة كبيرة منشغلة في ترتيب الملابس بداخلها، بإنتظام و دقة..
كانت تندندن بصوت خافت أغنية حزينة و إذا بنقرات صغيرة على الباب تخرجها من عالمها، كان يقف عند عتبة الباب، ترتسم على شفتاه ابتسامة هادئة، ،دخل الغرفة قائلاً:
- لم أكن أعرف إن صوتكِ جميلاً عندما تغنين.
- هنالك اشياء كثيرة لا تعرفها عني.
- اخبريني عنها.
قال ذلك و جلس على طرف السرير، فسألته بإستغراب:
- الآن تود التعرف علي؟
- و لمَ لا؟
تأملته للحظة، رأت في عينيه العاشق الذي كانت تفتقده، فقالت همساً:
- لقد فات الآوان..
اطرق جمال رأسه يائساً، غيرت سوزان الموضوع قائلة:
- جمال.. أشكرك، لأنك لم ترضى لي بأن أهيم على وجهي في ممرات المحاكم و سمحت أن ننهي كل شيء بهدوء و احترام.
ابتسم بحزن و قال:
- بصراحة، أنا نادم على فعلتي تلك؟
هزت رأسها بعدم استيعاب، فسألها:
- ألم تسألي نفسكِ كيف وافقت على الإنفصال بهذهِ السرعة؟

- بلى، استغربت ردة فعلك.
ظل يطالعها بصمت لثانية، ثم أبعد نظراته عنها و مال برأسه ينظر في فراغ، قائلاً:
- فكرت بأساليب كثيرة كي أثبت حبي لكِ و إنني تغيرت، لكن عندما رأيتكِ مصرةً على الإنفصال، فكرت في نفسي، اذا قبلت، سوف تدركين انني لم أقبل إلا بدافع الحب و إنني لا اريدكِ أن تظلي بقربي رغماً عنكِ و كنت متفائلاً بأنكِ سوف تغيرين رأيكِ باللحظة الأخيرة.. لكن..
توقف عن الحديث لبرهة، عاد بالنظر إإيها، باعد ذراعيه كتعبير عن العجز، أطلق تنهيدة عميقة و قال:
- بسبب أفكاري و تحليلاتي الغبية، خسرتكِ.
رمقته سوزان بنظرة امتنان، ابتسم لها مغمضماً عينيه لثانية، معبراً بذلك عن الإحساس بالإرتياح بعد التخلص مما كان يثقل صدره.
دس يده في جيب قميصه قائلاً:
- سمعتك تخبرين خالتي بأنكِ تفضلين السفر بالباص على الطائرة، لذلك حجزت لكِ تذكرة و ستبدأ رحلتكِ بعد ثلاث ساعات من الآن، تفضلي.
استلمت سوزان التذكرة من يده و شكرته متسائلة :
- و ماذا بشأنك؟ أحقاً تفكر بالهجرة؟
نهض مجيباً:
- نحن جاهزون لبدأ رحلة جديدة.
- أنتم؟
- أنا و خالتي.
قال ذلك و سار مغادراً لكنه تمهل قليلاً، استدار بجسمه قائلاً بصوت متحشرج:
- سوزان.. ادعي لي أن أجد الراحة و السلام في حياتي الجديدة و سامحيني.
ابتسمت له و قالت مطمئنة:
- سامحتك، و ستجدهما حتماً.
أرسل لها قبلة في الهواء و غادر الغرفة، تاركاً سوزان حائرة بهذا التغيير الذي طرأ عليه خلال تلك الفترة الوجيزة التي صنعت منه رجلاً مسالماً، مسامحاً و هادئ...
فأغلقت الحقيبة قائلة:
- و بالحب نجد السلام.

## الفصل الخامس عشر و الاخير

هل ينتهي الماضي حقاً
ام انه يتابع حياته داخل رؤوسنا؟
" غادة السمان "

بعد مرور ثلاث سنوات

كان يومها الجو دافئ بعض الشيء و السماء صافية، بعد ليلة ممطرة، عاصفة و باردة.
كانت يومها المقبرة شبه خالية، ما عدا عائلة مؤلفة من امرأتين و ثلاثة رجال يلتفون حول احد القبور، يوزعون التمر و الحلوى على كل من مر بهم و صوت قارئ القرآن يصدح في المكان، يبعث الطمأنينة في

القلوب، بعدما انتهوا، غادر كل واحد منهما بإتجاه سيارته، ما عداه...
ظل جالساً بمحاذاة القبر، يستمع إلى تسجيلها الصوتي، يتأمل صورتها بعينين دامعتين.
بخطوات بطيئة تقدمت نحوه، بقيت واقفة خلفه للحظات طويلة، لم تكن ترغب في اقتحام خلوته و أعطته الوقت الكافي للبقاء مع نفسه..
بعدما انقطع الصوت، رفع جهازه عن القبر ليضعه في جيب معطفه الأسود و في اللحظة التي استدار بجسده، وقف متسمراً في مكانه، غارقاً بذهول تام.
كانت تقف على بعد خطوتين منه، مرتدية جاكيت أزرق مخملي، يصل طوله إلى ركبتيها بجيوب كبيرة و بنطلون اسود، نسقته مع شال باللون الأسود كذلك، ارتعش صوته عندما ردد:
- ريحانة!
اقتربت منه بخطوات بطيئة قائلة:
- مازلت تناديني بهذا الاسم!
ظل يتأملها للحظات و قد بدت على ملامحه التأثر بسبب هذا اللقاء الذي جاء فجأة، فتسائل بغصة:
- اين كنتِ طوال هذهِ المدة؟
لقد وصلها إحساسه و أسعدها ذلك، فأجابت:
- كنتُ في رحلة استرجاع سوزان.
- و هل استرجعتها؟
عينيها اللامعتين، ابتسامتها المشرقة و نبرة صوتها الدافئة كانتا كفيلتاً بالرد على سؤاله مسبقاً لكنه برغم ذلك طرح عليها السؤال لكي يعرف الإجابة منها، فأجابت متفكرة بطريقة طريفة:
- نعم، ولكن.. هنالك جزء صغير من قلبي سرقته مني و أنا هنا لإسترجاعه أيضاً.

غريب حقا هذا الإحساس الذي يسمونه الحب، كيف يقدر على تغييرنا من حال إلى حال..

و هذا بالضبط ما ينطبق على أمين الذي قبل رؤيته لسوزان كان في شدة الكآبة، و ها هو الان يحادثها بحرارة، بعدما كان لساعات طويلة من النهار يغوص في صمت لا نهاية له.
رفع حاجبيه استغراباً، ثم قال بطرافة محاولاً تقليدها:
- لا اتذكر إنني سرقت منكِ شيئاً، و لم أكن أتصور انكِ بخيلة لهذهِ الدرجة كي تأتي و تطالبي بجزء صغير من قلبكِ، تدعين بأنني سرقته منكِ.
- أنا لا أدعي، ثم إني جئت لأجل شيء آخر ايضاً..
- ألا وهو ؟
- الخاتم، أتتذكره؟ يومها الظروف لم تسمح لي أن أقبل هديتك، لكن الآن، أنا أريده.
هز رأسه ضاحكاً و هو يسأل نفسه:
" أحقاً هذا انا الذي يضحك و يمزح امام قبر حبيبته! "
فسألته متخوفة:
- لا تقل إنك قمت ببيعه؟
أجاب بشرود:
- لا، الخاتم في مكانه، مع باقي الأشياء التي رفضتِ أن تأخذي شيئاً منها.
شبكت يديها خلف ظهرها، أطرقت رأسها قائلة:
- رفضت، لأن تلك الأشياء لم تكن لي، بل لريحانة.
فقال محاولاً اغاظتها:
- لمعلوماتك الخاتم ايضا لم يكن لكِ، بل لريحانة.

احست إنها صنعت فخاً لكي توقع نفسها فيه، استدارت بجسدها متضايقة، اعترض طريقها متسائلاً:
- إلى أين؟
تطلعت به قائلة ببرود:
- على ما يبدو إنك كنت تنتظر ريحانة و وجودي ليس مُرحباً به.
ضحك بتعجب و قال:
- لا تقولي إنكِ تغارين!
أقرت:
- اجل، اغار.
- تغارين من مجرد اسم؟
- بالنسبة إليك ليس مجرد اسم.
ارتسمت على وجهه ابتسامة هادئة و شعور جميل أخذ يلامس قلبه، لم يكن يتصور بأنه سوف يعيش هذا الشعور مرة ثانية، رد:
- صدقيني، كنتُ امازحكِ، أرجوكِ سامحيني على ثقل دمي.
تفحصته هذهِ المرة طويلاً، إذ رأت أمامها رجل أنهكه الألم ذاته و تمكن منه و من صحته، حيث بدا نحيلاً بملامح مرهقة، رجل يحاول أن يتشبث بأي شيء يقتلعه من أحزانه، حتى و إن كان هذا الشيء عبارة عن مزاح ثقيل، فقالت تحدث نفسها:
" سوزان دعي عنكِ تصرفات المراهقات، انتِ هنا لأجل أن تأخذي بيده و تساعديه في الخروج من هذا السواد الذي يعيش فيه، بدءاً من ملابسه. "
ابتسمت قائلة:
- لا بأس، دعنا من ريحانة و سوزان و اخبرني عنك، بأي حال أنت؟
أشاح ببصره نحو السماء و أجاب متنهداً:
- أنا كما تركتني، مازلت أصارع الوحدة..
سكت لبرهة ثم اضاف حيث كان صوته خفيضاً كما لو كان عالقاً في حنجرته:
- بعدما افترقنا بفترة قصيرة، عادت سارة، لكنها لم تكن بخير، كان المرض ينخر جسدها و روحها..
تزوجتها.. كرستُ حياتي لأجلها و فعلت كل ما بوسعي لكي اساعدها بالتغلب على ذلك المرض اللعين..
لكن.. جميع محاولاتي بائت بالفشل.. سنة واحدة.. ثم الوداع.. و اليوم الذكرى الثانية على وداعنا.
تجمعت الدموع في عينيه وهو يهمس بحرقة:
- لقد رحلت، لقد تركتني و رحلت مرةً ثانية و هذهِ المرة بلا عودة.
وضعت كفها على كتفه، قربت رأسه تقول بأسلوب هادئ اخّاذ:
- هي تركتك، لأن هكذا مقدراً لها.. أمين.. أنا هنا و لن أتركك.
مسد جفونه سريعاً ثم بهدوء شديد طبع قبلة على يدها التي كانت تحط على كتفه.
سحبت يدها بخجل و سارت نحو القبر، بسطت يديها مقابل وجهها، أغمضت عينيها تهمس بكلمات روحانية، بعدما انتهت مسحت وجهها بكفيها مرددة:
- ليرحمها الله.
عادت بالنظر إليه حيث كان يتأملها بشغف و قالت:
- ما رأيك أن نذهب إلى مكان نأكل فيه، فأنا جائعة.
دق على صدره و أحنى رأسه قائلاً:
- بأمركِ...

بعد ساعة كانا جالسين إلى طاولة دائرية في مطعم دافئ، هادئ و مكتظاً بالزبائن، لكن برغم ذلك كان

الهدوء سيد الموقف ولا يسمع سوى رنين الملاعق على الاطباق و خطى الوافدين و المغادرين للمطعم، الذي كان يمتزج مع صوت الموسيقى الهادئة، تطلع أمين بباقة الورود التي كانت تتوسط الطاولة، قطف منها وردة حمراء، قدمها لسوزان قائلاً:
- أهلاً بوجودكِ هنا.

المرأة بطبعها غيورة تجاه من تحب، وهي تعشق هذا الإحساس و تنجرف فيه لدرجة إنها تضع نفسها في مقارنة مع نفسها، أحياناً..

قالت متأثرة بالحديث الذي دار بينهما في المقبرة:
- و ما الفائدة لوجودي هنا بعدما تبين إن ما جئتُ من اجلهما، لا ذاك سرق مني ولا هذا كان لي من البداية؟
ظل متفكراً لبضع ثوان قبل أن يبدي ملاحظة:
- دعيني اوضح لكِ شيئاً.. ريحانة و سوزان بالنسبة لي، امرأتين في جسد واحد.. الأولى، احببتها في الماضي و انتهى كل شيء، و الثانية، أحبها الآن و معها سيبدأ كل شيء.
سكت لبرهة يطالع عينيها، محاولاً معرفة ما يدور في ذهنها و عندما عجز عن ذلك استطرد قائلاً:
- بعدما رحلت سارة غدوت تائهاً و ضائعاً، كنتُ بحاجة إلى التحدث اليكِ، لذلك قصدت المكان الذي كنتِ تسكنين فيه، لكنني لم امتلك الشجاعة في السؤال عنكِ، كنتُ اخشى أن يعلم زوجكِ بالأمر و اتسبب في خلافات جديدة بينكما، انتظرتكِ في السيارة لساعات، ولكنكِ لم تأتين، حتى فقدت الأمل و عدتُ من حيث جئت.
تحركت قليلاً للأمام ، قالت و عينيها محدقة بالوردة التي تتراقص بين أصابع يده:
- تقصد طليقي.. لقد إنفصلنا بهدوء تام.. جمال لم يكن رجلاً سيئاً.. أبداً.. لكنني اكتشفت إننا لا نكمّل بعض و إن الحب الذي جمعنا، لم يكن قوياً كفاية كي يصمد امام عقبات الحياة.
سكتت متقوقعة على نفسها، تأملها أمين للحظات، إذ احس إنها لم تتخطى بعد المرحلة التي عاشتها و إنها مازالت تعاني آثارها، كحالته، ففكر في نفسه:
" على المرء أن يكون سعيداً، لكي يسعد الآخرين. فالإنسان الحزين لا ينشر من حوله إلا الحزن. "
ولكي يخرجها من تلك الحالة، ضرب بقضبته على الطاولة و بحركة سريعة قرب رأسه منها قائلاً:
- سوزان، فلنتزوج.
وضعت سوزان يدها على قلبها مفزوعةً و ردت بإستياء:
- أمين، أخفتني.
ثم ارتشفت جرعة من الماء و تطلعت به متسائلة:
- ماذا قلت؟
- فلنتزوج.
- هكذا من دون مقدمات؟
دعت ربها أن يسألها ماذا تريد، لا أن يقول لها إنه سيفعل لها كل ما تريد.
- ما هي المقدمات التي تريدين أن نبدأ بها؟
أسعدها سؤاله و طمأنها من الداخل، فأجابت:
- اريد أن أحظى بجميع اللحظات التي تحظى بها اي فتاة مقبلة على الزواج، أريد أن أعيشها لحظة بلحظة و خطوة بخطوة.. هل يمكنك أن تفعل لي ذلك؟
ابتسم في قرارة نفسه و اعتبر أن طلبها هذا بمثابة القبول بفكرة الزواج، فضم يديه إلى صدره قائلاً بثقة كبيرة:
- فقط اخبريني متى تكونين جاهزة، لكي نأتي أنا و أمي لخطبتكِ.. و بعدها.. عندما يقبلون اهلكِ بي

عريساً لإبنتهم، نعود لكي نتحدث بأمور المهر و ما إلى ذلك.. بعدها.. نبدأ بإجراءات العرس و معاً سنكتب أسامي المدعويين في بطاقات العرس التي سنختارها بإهتمام.. بعدها.. ليلة الزفاف التي لن تنسى و شهر العسل.. بعدها.. نعود إلى بيتنا لكي نخلق لأنفسنا روتيناً لا يُمل.. بعدها.. بفترة قصيرة، تخبريني بأنني عما قريب سوف أصبح بابا، و أنا كما في الافلام أطير من الفرح و أطلب منكِ ألا تتعبي نفسك بأمور البيت، و من الآن فصاعداً أنا الذي سيطبخ و ينظف، لكن بعد ساعة إنسى كل ما قلته.
أضحكتها عبارته الأخيرة، ضحك هو الآخر رافعاً كفه على أن لكلامه بقية، فأخذ نفساً و استكمل بشوق:
- بعدها.. يولد طفلنا الأول و الثاني و الثا...
فقامت سوزان بمقاطعته قائلة:
- اوه ما هذا! أتريد أن تشكل فريقاً لكرة القدم؟
علت وجهه مسحة من الحزن و أجابها:
- أريد أطفالاً كُثر، اريد معهم و بهم تمحى آثار الوحدة و السكون التي تحيط بي من كل جانب.
أخيراً اخذت الوردة من يده، استنشقت عطرها قائلة:
- حسناً، مبدئياً، أنا موافقة على ثلاثة.. جيد؟
غمز لها بطرف عينه مجيباً بحرارة:
- جيد جداً.

بعد مرور عدة أشهر

كان جالساً خلف مقود السيارة يطالع ساعته بالثوان، أخرج هاتفه من جيب قميصه و قبل أن يطلب الرقم، لمحها من خلال المرآة الجانبية تغلق باب المنزل و تأتي نحو السيارة ببطنها المنفوخ و بخطوات ثقيلة جداً، حيث كانت ترتدي ثوب أبيض فضفاض منقوش بوردة حمراء كبيرة على البطن و شال من الحرير باللون الزمردي الفاتح، فتح لها الباب، اخذت مكانها في السيارة قائلة وهي تلهث:
- أمين، لقد وترتني بإتصالاتك، لدرجة إنني لم اعرف كيف ارتدي ملابسي.
ادار محرك السيارة قائلاً بإبتسامة هادئة:
- حبيبتي، اخبرتكِ إنني ملتزم بموعد و من غير اللائق أن أصل متاخراً.
ثم ألقى نظرة خاطفة عليها متسائلاً بإهتمام:
- انتِ بخير؟
اخذت نفساً عميقاً، شبكت كفيها على بطنها مجيبة:
- أنا متعبة جداً، لم أكن اعرف أن الحمل متعب هكذا، الآن فقط أدركت ما عانته أمي من أجلنا.
- أخبرتني أنها أنجبت إخوتكِ الاربعة فقط لكي ترزق ببنت.
ضحكت سوزان ضحكة مرهقة و قالت:
- بالفعل، انظر إلي و تصور أن تتحمل كل هذا التعب أربعة مرات على أمل أن يصبح حملها الخامس بنت.
- خيراً فعلت..
- لماذا؟
تطلع بها و اجاب بحب كبير:
- لولاها، لما كانت لدي الآن زوجة جميلة و رائعة كهذهِ التي تجلس بجانبي الآن.
ابتسمت و اخذت تضم كفه بكفيها...

تخطت السيارة الحي الذي كانا يسكنان فيه، تغيرت ملامح المدينة بليلة و ضحاها..
اليوم الأول.. للانتخابات الرئاسية الجديدة...

صور المرشحين تغزو جدران المباني، بوعودهم الرنانة..
الناس منهمكين في جمع الاصوات، لمرشحيهم المفضلين..
صمت طويل ابعدهما عن العالم، إذ لم يكن يسمعا سوى دقات قلبيهما المجنونة.
ثم، توقفت السيارة أمام الإشارة الحمراء، التفتا ينظران إلى بعضهما البعض..
تنهيدة عميقة تخرج من صدريهما في ذات اللحظة، و ابتسامة تأخذ مكانها على شفتيهما بهدوء، مد أمين يده يقرب رأس زوجته و يطبع قبلة طويلة على جبينها، تطلعت سوزان مطولاً به ثم ارخت رأسها على كتفه.
الإشارة خضراء.

البعض يستذكر ماضيه بحزن
و البعض الآخر يغلب على ذكرياته طابع الفرح
اما بالنسبة لأبطال قصتي هذهِ، فإن احساسهم يمتزج ما بين الحالتين..
حزن، بسبب سنوات عمرهم التي مضت في متاهة الإنتظار..
و فرح لأجل المسار الذي اجتمعا في نهايته لكي يكتبا معاً حكايتهم الجديدة.

انتهى....